جامعة بجاية
Tasdawit n'Bgayet
Université de Béjaïa

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة-بجاية-

قسم اللّغة و الأدب العربي.

العنف والجنس في رواية الخبز الحافي لمحمد شكري.

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي.

تخصص: أدب

من إعداد:

-عبدوس وهيبة.

-عيناس زينة.

إشراف الأستاذة :

- إيدر عائشة.

السنة الجامعية: 2021-2022

إهداء

أهدي عملي هذا المتواضع إلى:

الوالدين عربون محبّة وتقدير.

-إلى إخوتي نعم السّند.

-إلى أصدقائي وكلّ من مدّ لنا يد العون من قريب أو بعيد.

-وهيبة-

إهداء

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدامهما بصحّة وعافية.

وإلى كل العائلة التي ساندتني ولا تزال من إخوة وأخوات إلى كل أصدقائي بدون استثناء.

-إلى كلّ من ساعدنا في إنجاز هذا البحث ولو بكلمة طيّبة.

-زينة-

مقدمة

عاش الأديب المغربي محمد شكري (1935-2003) حياة التّشرد والتّسكع والانحراف منذ نعومة أظافره، لكنّه ودعّ هذا العالم المظلم بعد أن دخل المدرسة عام 1955 وتخرّج منها.

تعلّم شكري القراءة والكتابة وهو ابن العشرين ربيعا، وكتب روايته "الخبز الحافي" في عام 1972 بطلب من صديقه الكاتب الأمريكي بول بولز الذي ترجمها عام 1973م إلى الإنجليزية بعنوان for a bread alone "من أجل الخبز فقط" قبل أن يترجمها الروائي المغربي طاهر بن جلون إلى الفرنسية عام 1982م لتصدر بنسختها العربية متأخرة بعشر سنوات.

يشكل الخبز الحافي سيرة ذاتية روائية فريدة من نوعها في الأدب العربي الحديث إنها ظاهرة استثنائية سواء على مستوى المتن أو الأسلوب.

وعلى الرغم من النجاح العلمي الذي حققه شكري من خلال روايته إلا أنه ظلّ ممنوعا من النشر في غالبية الدّول العربية لسنوات عديدة، لأنه انتهك فيها كل أنواع المحرّمات معتمدا في ذلك أسلوب البوح الحرّ والتعرية الفاضحة للفرد و المجتمع ، إنّ الذي كتبه شكري من الأمور التي يسكت عنها فكيف تكتب وتنشر في الكتب؟

إنّه الكتاب الملعون كما نعته صاحبه، وتجدر الإشارة إلى أن الرواية عرضت فيلما من إنتاج إيطالي فرنسي، جزائري سنه 2004.

أثارت الرواية فضولنا فأردنا استكشاف أغوارها باستنطاق ظاهرتي العنف والجنس باعتبارهما المحرك الأساسي فيها.

توزع بحثنا على ثلاثة فصول كان الأول بعنوان المحكي الذاتي بين الواقع والتخييل.

حاولنا من خلالها تحديد الجنس الأدبي للخبز الحافي فعرفنا السيرة الذاتية ثم تعرضنا لرواية السيرة الذاتية لتنتهي إلى استجلاء معالم السيرة الذاتية في الرواية.

وعنوننا الفصل الثاني بدواعي العنف وتجلياته في رواية الخبز الحافي وحاولنا من خلاله الوقوف عند أسباب العنف، وكذا تتبع مظاهره في الرواية ليأتي الفصل الأخير تتمة للفصل الثاني يرصد ظاهرة الشذوذ الجنسي بكل أنواعها، لتكون الخاتمة حوصلة لأهم ما انتهت إليه دراستنا.

طبيعة موضوعنا استدعت المنهج النفسي للدراسة والتحليل، وان حدثنا عنه في الفصل الأول الذي اعتمدنا فيه على المنهج الوصفي التحليلي في مجال تعريف الكتابة السير ذاتية والوقوف عند معالمها في الرواية.

شكّلت هذه الدراسة بالنّسبة لنا تحديا كبيرا بسبب خصوصية الموضوع المحرجة نوعا ما، ولكننا استطعنا تخطي الأمر بمعية أستاذتنا التي لم تبخل علينا بالمراجع وكانت لنا نعم المرشد والسند، لها منا فائق التقدير والاحترام.

الفصل الأوّل

المحكي الذّاتي بين الواقع والتخييل:

-الكتابة السّير ذاتية

-السّيرة الذّاتية

-رواية السّيرة الذّاتية

-معالم السّيرة الذّاتية في رواية الخبز الحافي

الكتابة السير ذاتيّة

الكتابة السير الذاتية نوع سردي خاص وحيوي من أنواع السرد السيري يستفيد من كل معطيات الكتابة السردية المتعارف عليها لكنه لا يمثّل رؤيتها التقنية، ذات الكيفيّة التخيلية تماما، وذلك بسبب الطبيعة الذاتية الواقعية والوقائعية التي تشتغل عليها وتستمد رؤيتها منها، ولا سيما حين ترتكز في مرجعياتها الحكائية على حوادث وحكايات ولقطات صورية من حياة ومحيط وخبرة وتجربة الكاتب في الحياة التي تحصّه حصرا، عبر ميثاق قرائي يعترف الكاتب بأن ما يرويه هو قصه الكاتب ذاتها كما وقعت في الحياة والواقع، وكما يشاء هو أن يرويها على النحو الذي يختار زاوية الرؤية ومسار الحدث وقيمة الحكاية المروية، وأسلوبية التعبير السردي السير ذاتي ولغة خطابه وطريقة بنائه الفنّي ضمن سياق اجتماعي معين. [1]

وتتنوع كتب السيرة الذاتية رؤية ومنهجا وأسلوبا ومقولة ونصا، بحسب طبيعة الكاتب السير ذاتي من جهة ووضعها الثقافي والفكري والاجتماع والاقتصادي والحضاري، وخبرته في صناعة السرد، وصوغ نظم تعبيره وتشكيله وبحسب السير الذاتية التي ينوي سردها من جهة قيمتها الذاتية والموضوعية للكاتب، ومجتمعه وتاريخه وحياته وقيمته وأفكاره.[2]

---

[1]– محمد صابر عبيد: الذات السّاردة، سلسلة التاريخ ولعبة المتخيل، دار بنوي للدراسات والنشر، سوريا ب ت، دمشق، ص5.

[2] –نفسه، ص6.

ترسّخت السيرة الذاتية جنسا أدبيا على خلفية نشوء أفكار عصر الأنوار الأوروبي كما هي حال الرواية أي في تلك النقطة الحاسمة عندما صار الإنسان ذاتا وعقلا وحرية في المركز من اهتمامات الفكر الغربي، ونشأة الأفكار اللّيبرالية التي تعاملت مع الكاتب الإنساني فردا مستقلا حرّا مميزا عن المجموع، في هذا السياق الذي تأّخر عربيا حتى بداية القرن 20 صار من الممكن للذّات الإنسانية أن تعلن عن حضورها وفي مكاشفة صريحة فلقرون طويلة بقي احتفاظ المرء بأسراره وأسرار جماعته الاجتماعية فضيلة أخلاقية لا يجوز اختراقها، وأمام سلسلة صلبة ومكرّسة من محرّمات دينية وسياسية واجتماعية لم يجرؤ الكثير من الكتاب على كتابة يومياتهم ومذكراتهم وسيرهم الذاتية وفعلوا بتردد وحيطة وحذر، وبدل من كتابة سيرهم الذاتية مباشرة بأسلوب صريح لجأ الكتاب العرب إلى الفن الروائي ليتواروا خلفها ويفضحوا، وان على استحياء جوانب من أشرارهم وأشيائهم الخفية كما فعل سهيل إدريس في رواية الحي اللاتيني وتوفيق الحكيم في رواية عصفور من الشرق والغرب وغيرهم.[1]

[1] –سعد محمد رحيم : سحر السرد دراسات في الفنون السردية، الرواية ،السيرة، والسيرة الذاتية، أدب ما بعد الكولونيالية ،أدب الاستشراق، دمشق، دط، سوريا، 2014، ص80، 81.

-السيرة الذاتية :

أ- لغة : عرّف ابن منظور السيرة في لسان العرب السيرة هي: «السنة والطريق والهيئة ثم يربط بين الاسم والفعل فيقول: وسير سيرة حدّث أحاديث الأوائل وسار الكلام والمثل في الناس شاع»[1].

ويعرفها محمد الفني حسن بقوله : «التراجع هي ذلك النوع من الأنواع الأدبية الذي يتناول التعريف لحياة رجل تعريف يطول أو يقتصر ويتعمق»[2].

ولعلّ أقرب تعريف لهذا النوع الأدبي تعريف يحي إبراهيم عبد الدايم في قوله : «الترجمة الذاتية الفنية بأنها هي تلك التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساس الوحدة والاشتقاق في البناء والوضوح، وفي أسلوب قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافيا، كافيا عن تاريخه الشخصي على نحو موجز حافل بالتجارب والخبرات...هذا الأسلوب يقوم على جمال العرض وحسن التقديم وعذوبة العبارات.»[3]

والسيرة الذاتية بوصفها جنسا أدبيا منفصلا أو متداخلا مع أجناس أدبية أخرى، جعلت الآراء تتعدد في وضع حدّ جامع مانع لهذا المصطلح.

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب، مادة سيرة ، دار الأبحاث بيروت ، لبنان، ج6، 2008، ص427.

[2] –شعبان عبد الحكيم محمد: السيرة الذاتية في الأدب العربي ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1 2009، ص11.

[3] –نفسه ، ص12.

ب- اصطلاحا: يعرفها فليب لوجون بقوله هي: «حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة».[1]

وهكذا يكون لسان العرب قد أعطى لكلمة سيرة المعنى الذي يقترب كثيرا من معناها الاصطلاحي خاصة عندما ربط بينها وبين الفعل سير الذي يفيد رواية السير القديمة والواقع أن الخلفيات الإيثمولوجية للفظة biography في اللغة الإنجليزية أو biographie باللغة الفرنسية أكثر دلالة على مصطلح السيرة كما هو متداول في الأدب المعاصر بمعنى الإشارة إلى كتابة السيرة كمشروع أدبي أو تاريخي.[2]

ومن خصائص السيرة الذاتية اعتماد الكاتب على حقائق الحياة قدر المستطاع مع تقصّي الصّدق وعدم الاعتداد بالنّفس وتمجيد شخصه لأنّ هذا يُفقد سيرته الحياد والموضوعية وتجعلها همّا ثقيلا على القارئ...كما يجب أن تتحرر السيرة تماما من الوعظ والإرشاد.

ويجب عليه أيضا أن يترك الحقائق وحدها تتكلّم عن نفسها وأن يكون نقده مذكورا ضمن هذه الحقائق وليس مؤكّدا لها.

---

[1]- فيليب لوجون: السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، ص28.

[2]- كلمة biographie مشتقة من كلمتين يونانيتين هما bio وأصلها يوناني وتعني الحياة، و graphie وتعني يكتب.

ويتحتّم على كاتب السيرة الذاتية أيضا أن يكون موضوعيا في نظرته لنفسه وهو يذكر موقفه من النّاس و الحوادث ولا يساق مع غرور النّفس وتعلّقها بذاتها وحبّها لإعلاء شأنها وتنقيصها من أقدار الآخرين.[1]

-الرواية السير ذاتية:

الرّواية جنس أدبي لها قواعدها ومزاياها التي تختلف بها عن بقية الأجناس السردية قبل أقل من أربعة قرون، وعلي الرغم من ذلك فإنها شهدت انقلابات عديدة في مستويات وطرق السرد والبناء، وكشفت عن أهم خاصية تمتاز بها ألا وهي مرونتها وعدم خضوعها لقواعد صارمة، وقدرتها على تجاوز قواعدها وأشكالها القديمة باستمرار وإمكانياتها في تمثل واستمرار قواعد وأشكال الأجناس الأخرى في نسيجها العام.

ولعلّ من أبرز العوامل التي يمكن أن تفسر لنا ازدهار الرواية، قدرتها الفائقة على احتواء بقية الأجناس الأدبية وضمّها إليها حتى حق وصفها "بالجنس الإمبريالي" الذي يلتهم بقية الأجناس.[2]

وإن كان من السهل احتواء الرواية لأجناس أدبية واستيلائها على خصائص الكتابة في تلك الأجناس فظهرت مثلا الرواية التاريخية، الرواية الواقعية، الرواية الاجتماعية، الرواية

---

[1]- عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، دار نوبار للطباعة، مصر، دط، 1992، ص5.

[2] -محمد القاضي: في حوارية الرواية، دراسة الرواية التونسية، دار سحر للنشر، دط، تونس، 2005، ص5.

الشعرية، وما إلى ذلك فإن هذه السهولة تخفي في طياتها قضايا نظرية ومنهجية شائكة، فالحوار الأجناسي الذي تقيمه الرواية مع غيرها وإن كان يغني النص إلا أنه يثير عدّة قضايا أهمها: تداخل الرواية وبقية الأجناس وتأثير ذلك في هوية النص هل يظل لصيقا بالجنس الروائي أم يحق إدراجه ضمن أفق أجناسي آخر؟. وكيف تتوقع الرواية في ظل التداخل الأجناسي؟[1]

لم يظهر مصطلح "رواية السيرة الذاتية" إلاّ في النصف الثاني من هذا القرن، بيد أن فكرة علاقة سيرة الفنان بعمله كانت متداولة في أدبيات الحركة النقدية في الفترة التي سبقت ذلك، ويرجع ذلك إلى أنّ النّقد الأدبي في تلك الفترة كان منشغلا بالتنظير للرواية كجنس أدبي مستقل عن الشعر والمسرحية والملحمة والمقالة والسيرة الذاتية، وان دراسة الأجناس الروائية لم يشرع فيها بصورة واضحة إلا في النصف الثاني من هذا القرن والإشارات المتعلقة بهذا نعثر عليها مبثوثة في كتب تناولت موضوعات أجمل من هذا الموضوع مثل نظرية الأدب لرينه ويليك واوستن وارين، ونظرية الرواية لجورج لوكاش ولعلّ أبرز النقاد الذين بادروا على نحو مبكر إلى استعمال هذا المصطلح نجد ليون ايدل Léan Edel في كتابه "الرواية النفسية" وقد ضمن هذا الكتاب الذي صدر في الخمسينيات من القرن الماضي فصلا كاملا عن رواية السيرة الذاتية بعنوان رواية السيرة الذاتية وقد استعمل المؤلف في هذا الفصل تعبير رواية السيرة الذاتية وهو ما يعتبر سابقة في تاريخ النقد الأدبي الحديث ثم

1 –محمد القاضي: في حوارية الرواية، دراسة الرواية التونسية، ص13.

استعمل جون ثبودو Jean Thibodeau نفس المصطلح في دراسة بعنوان الرواية كسيرة ذاتية.[1]

واستنادا إلى ما ذكر فمصطلح رواية السيرة الذاتية وهو كما تدل عليه تسميته سيرة ذاتية مكتوبة في قالب روائي، يعتمد هذا القالب أساسا على الكشف عن هويّة المؤلف والراوي والشخصية الرئيسية لإزالة أي التباس قد يقع فيه القارئ، وخليق بالكاتب الذي انتقى هذا القالب أداة للتعبير عن سيرته الذاتية أن يكشف عن غايته من اختياره القالب الروائي لعرض سيرة حياته وأن يصرّح بأنه البطل الفعلي لجلّ الأحداث المعروضة في نصّه ويحتفظ باسمه الحقيقي في العمل الذي يعرضه وإلاّ فإن أعماله ستقر على أنها خيالية مهما شملت من حقائق ووقائع من حياته وتجربته.

وعليه كذلك أن يتمسّك بعناصر الحقائق فيما يقصّه دون الاسترسال في الخيال والتصور والاستسلام إلى ما تفرضه تقنيات الرواية فتنحاز به بمنأى عن السيرة ليمنحنا رواية تعتمد على تجاربه الشخصية ولا يمكن في هذه الحالة أن ندخلها في عدّاد السيرة الذاتية المصوغة في قالب روائي إلاّ أنّه أخلّ بشروطها باستسلامه لتقنية الرواية، ومتجرّه إليه من تخيّل وتصوّر وابتداع في الشخصيات والأماكن والمواقف والأحداث وإنكار شخصيته.[2]

---

[1] – كحال بوعلي: السيرة الذاتية في الرواية العربية الحديثة، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2002، ص13.

[2] – نفسه، ص13.

وهذا هو الحدّ المميز بين الرّواية الفنية الخالصة وبين رواية السيرة الذاتية.[1]

وبالعودة إلى تعريف فيليب لوجون السيرة الذاتية في كتابه "السيرة الذاتية في فرنسا "

بقوله: «هي قصة ارتدادية نثرية يروي فيها شخص واقعي وجوده الخاص مركّزا حديثه في حياته الفردية وبوجه خاص في تاريخ شخصيته»[2] فإننا نجد أن الرواية تنأى بنفسها عن المطابقة بين الراوي والشخصية الرئيسية ، وبين الراوي والمؤلف مطابقة ثابتة صريحة كما هو الحال في السيرة الذاتية، ذلك أن اعتماد كتاب الرواية السير الذاتية المتخيل في الكتابة وتوظيفهم مميزات الشخصية القصصية واستثماراتهم المسافة السردية الفاصلة بين الراوي والشخصية وبينه وبين المؤلف، كل ذلك ينحو إلى الاستقلال عن الواقع التاريخي المرجعي ويسعى إلى خلق واقع آخر بديل له، أما عالم السيرة الذاتية فهو يحيل إلى الواقع الخارجي التاريخي ويوهم بالتطابق معه تطابقا قد تتفاوت حظوظه من الصدق والقدرة على التعري والاعتراف، وهناك شرط أساسي يغيب في الرواية، اعتبارها سيرا ذاتية هو ما يسميه فليب لوجون "بالميثاق السير ذاتي" وبه يعلم المؤلف قارئه بنيته تدوين سيرة حياتهم مؤكدا التطابق بين شخصية الراوي وشخصية البطل، إنّ الميثاق بين كتاب هذه الرواية وقرائها ميثاق روائي

---

[1] – لبراهيم عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، لبنان، دط، دت، ص116.

[2].Philip Le jeune : le pacte autobiographique, Ed : seuil , Paris, 1975, p14.

فليس في حواشي الكتب إشارات تعلن انتمائها إلى السيرة الذاتية، وعدم الإعلان عن الميثاق السير الذاتي كافي وحده لاعتبار الميثاق ميثاقا روائيا.[1]

-معالم السيرة الذاتية في رواية الخبز الحافي:

"رواية الخبز الحافي" رواية سير ذاتية، يقول محمد شكري: «أنتظر أن يفرج عن الأدب الذي لا يجتر ولا يراوغ: مثل هذه الصفحات عن سيرتي الذاتية، كتبتها منذ عشر سنوات ونشرت ترجمتها بالإنجليزية والفرنسية والإسبانية قبل أن تعرف طريقها إلى القراء في شكلها الأصلي العربي».[2] وبالتالي فهذا النص ينتمي إلى الرواية السيرذاتية.

-**العنوان:** عنوان الرواية "الخبز الحافي" له دلالة واضحة على أنه العمل النصي، وهو بمثابة دليل واضح يعبر عن الكثير من الأمور الباطنية لحياة محمد شكري: فعنوان السيرة الذاتية بمثابة مفتاح الكتاب لأن العنوان هو أول ما نلاحظه على غلاف الكتاب أو النص إذ هو العتبة الأولى، ويشكل أهمية كبيرة في فك لغز النص، ففي غالب الأحيان ما يكون للعنوان القدرة على التأويل الممكن للنّص، كما أن العنوان شديد الارتباط بالكتاب، فهو بمثابة إعلان عنه فهو يجهز القراء بما يحتويه ويتضمنه وبما أنّ الكاتب صرّح مسبقا أنه كتب سيرته الذاتية في شكل رواية، فمن البديهي أن يكون عنوان الخبز الحافي مرآة عاكسة لبؤس

---

[1] – محمد آيت ميهوب: رواية السير ذاتية في الأدب العربي المعاصر، دار كنوز المعرفة للنشر، ط1، 2009، ص14.

[2] – محمد شكري: الخبز الحافي، سيرة ذاتية روائية، دار السياقي، بيروت، لبنان ، 2002، ص07.

حياة صاحبه، فالخبز الحافي تعبير مستخدم في أوساط المشارقة دلالة على أنه الوجبة الغذائية التي لا يصحبها أي نوع آخر من الطعام سوى الماء، ويبدو أن هذا التعبير مستخدم لدى المغاربة أيضا مصحوبا بياء وهو تعبير يدل على الفقر المعوز وسوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية.[1]

-الميثاق السير ذاتي للرواية:

يحيل الميثاق السيري القارئ إلى أن الروائي والبطل يتقاسمان ما يحدث داخل النص الروائي يؤكد حسن بحراوي على ضرورة التطابق بين المؤلف والبطل والرجوع بكل شيء إلى الاسم الشخصي المكتوب على الغلاف.

الميثاق الروائي نجده على غلاف الكتاب حيث حدّد لنا الكاتب الجنس الأدبي لعمله الأدبي الخبز الحافي سيرة ذاتية روائية[2].

-**الاسم:** وهنا يكمن في تطابق بين اسم الراوي أو البطل واسم المؤلف الذي يعد أقوى القرائن الدالة على حضور هوية المؤلف في النص الروائي، وأشدها تأثيرا في القارئ فحضور اسم

---

[1] – فايز صلاح عثامنة: السرد في رواية السير ذاتية العربية، مؤسسة عمان للنشر والتوزيع، 2014، ط1، ص 47-57.

[2] – فيليب لوجون: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلّي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، ص23.

المؤلف في العالم السردي يؤدي بالقارئ بالضرورة إلى اختراق ما يسميه فيليب لوجين "الحاجز الفاصل بين النص وخارج النص".

فاسم المؤلف حسب جيرار جونات هو عتبة من عتبات النص، فالتطابق الصريح بين اسم الراوي واسم البطل من أهم الخصائص التي تبنى عليها الرواية سير الذاتية[1].

وهذا ما نجده في رواية الخبز الحافي فالبطل هو محمد، وهو أيضا اسم الراوي والشخصية المحورية في الرواية والسارد الرئيسي والعليم للأحداث، الذي هو اسم الكاتب نفسه فهو يحكي حياته هو بالذات ويكتب واقعه ونجد في الرواية بعض الشواهد الدالّة على ذلك، يقول محمد: «الجوع يؤلمني»، «أمص وأمص أصابعي»، أمي تقول لي: «بين لحظة وأخرى اسكت»، «محمد، محمد إينو تعال لا تخف»[2].

فحضور اسم محمد في الرواية دليل على أن البطل هو نفسه محمد شكري.

-الشخصيات وخصائصها:

الشخصيات في الرواية السير الذاتية تتميز بعاملين أولهما محورية البطل وهيمنته على العالم الروائي فالقصة قصته والأحداث أحداثه، وليست الشخصيات الثانوية إلا تفاصيل داخل أسطورته الشخصية، أما العامل الثاني فيتمثل في هيمنة فعل التذكر على السرد في

[1] – محمد آيت ميهوب،: رواية السيرة الذاتية في الأدب العربي المعاصر، ص90.

[2] – الخبز الحافي، ص09.

الرواية السير الذاتية فقد اقترن وجود أغلب الشخصيات بذكريات البطل، فكان من الطبيعي أن تغيب الشخصية الثانوية بانتهاء الراوي من سرد الذكرى المتعلقة بها.[1]

وإذا عدنا إلى الشخصيات الموجودة في رواية الخبز الحافي نجد الخال :«أبكي موت خالي والأطفال من حولي.»[2]

ثم تبدأ الشخصيات الرئيسية بالظهور: «أمي تقول لي بين لحظة وأخرى سنهاجر إلى طنجة وأن عبد القادر لا يبكي.[3]»

ويكتب شكري أيضا« دخل أبي و وجدني أبكي على الخبز».[4]

وهكذا ظهرت لنا عدة شخصيات ومنها الخال :الأم، الأب ،الأخ وبعد ذلك دخل الأخ عاشور ثم ظهور صديقه التفرسيتي، وبذلك يكون شكري قد قدم جميع الشخصيات الأساسية في الخبز الحافي ليبقى الصوت الطاغي على الحوار هو صوت الراوي .

-**المحورية:** وتتمثل في الشخصية الرئيسية في الرواية السير الذاتية فهي المهيمنة على العالم الروائي ،تحتل مكان الصدارة فيه والقصة تكون قصتها لا غير، وهذا كله يتطابق في رواية شكري حيث نجد أن كل الأحداث المروية محورها بطل السيرة الذاتية فهو يروي لنا

---

[1] -محمد آيت ميهوب: رواية السيرة الذاتية في الادب العربي المعاصر، ص268.

[2] - الخبز الحافي، ص9.

[3] - نفسه، ص9.

[4] - نفسه، ص9.

أحداث طفولته وواقعه المأساوي التي سردها بلسانه هو لا غير، المتمثل كله في الفقر والجوع والعنف يقول محمد: «أبكي على الخبز»، و«أمي تقول لن تبكي على الخبز عندما نبلغ طنجة»[1]، فقد عانى كثيرا من شدة الجوع والعنوان يلخص لنا ذلك.

-**اللغة:** هناك الكثير من السير الذاتية ذات صبغة أدبية، تتوفر فيها كل العناصر السردية من لغة وسرد و وصف، يبدأها الكاتب رجوعا من الماضي إلى الحاضر، وفي لغة سهلة وواضحة الأبعاد والدلالة إذ إنها تحتوي على جمل اخبارية ممتعة مكتوبة بلغة سهلة واضحة ومباشرة نلاحظ من خلالها دقة الكاتب وحرسه منذ بداية حياته على تسجيل ما يتعلق به وهذا ما نلاحظه في سيرة الخبز الحافي فاللغة التي استخدمها محمد شكري لغة سهلة يتقاسمها الراوي والشخصيات نجد منها خليط من الفصحى والعامية الدارجة ،وهذه من أهم سمات أدب السيرة الذاتية، فمحمد شكري بدأ سرده الذاتي في الخبز الحافي باستهلال واضح الدلالة معلنا فيه عملية السرد الصريح بضمير المتكلم[2].

فهذا يعني أن الرواية سيره ذاتية مكتوبة بيد الكاتب بلغة سهلة ، وكذلك نجده في أغلب رواياته يوظف أسلوب الاستفهام فهو يكثر من السؤال حيث يقول:

«لماذا الله لا يعطينا حظنا مثل ما يعطيه للناس؟ هكذا سألت أمي»[3].

---

[1] – الخبز الحافي، ص9.

[2] – فايز صلاح عثامنة: السرد في رواية السيرة الذاتية العربي، ص39.

[3] – الخبز الحافي، ص 15

وهذا دليل واضح على أنه موضوعي في طرح أفكاره وهذه سمه أخرى من سمات أدب السيرة الذاتية.

-**الزمن:** السيرة الذاتية الروائية تكتب بضمير المتكلم تبدأ من الحاضر وترجع إلى الماضي ولأن الحياة ترتبط ارتباطا وثيقا بالزمن، لأن هذا الأخير نفسه هو الحياة في جميع مراحلها فالإنسان يعيش فيها ضمن منظومة متسلسلة في ترتيب زمني معين، وهذا ما ألفيناه في رواية الخبز الحافي حيث توقف شكري عند ثلاث فترات .

زمن الطفولة التي عانى منها بشدّة والتي وصفها باستحضار مجموعة من الصور، الموت المجاعة في الريف ، ومعاناته مع والده ثم مباشرة يدخل في مرحلة الشباب التي عاشها في تشرد وضياع بين اللهو والصعلكة والتسول والسرقة ،وما عاناه وما عاصره من أحداث ووقائع كثيرة ،ثم بعدها يأتي زمن الرضا والقناعة زمن الخلاص الذي تمثله مرحلة دخوله إلى السجن وتعلمه القراءة والكتابة.[1]

-**المكان:** يشكل المكان ركنا مهما في الرواية السير الذاتية وذلك لشدة ارتباط كاتب السيرة بالأماكن التي عاش فيها، ويشكل حضور المكان في أغلب السير الذاتية العربية أهمية في تحريك الأحداث والوقائع.

[1] – فايزر صلاح عثامنة، السّرد في رواية السيرة الذاتية العربية، ص61.

عاش بطل رواية الخبز الحافي الهروب الدائم من مكان إلى مكان وذلك من أجل البحث عن لقمة العيش: «أسكت سنهاجر إلى طنجة هناك خبز كثير، لن تبكي على الخبز عندما تبلغ طنجة»[1].

وفي طنجة لم ير خبزا كثيرا كما وعدته أمه ، و لكن لم يكن جوعا قاتلا، ثم ينتقل إلى مكان جديد في حي "عين خباز" هو وعائلته، والدته تبيع الخضر في حي الطرنكات، وبعد ذلك ينتقل إلى وهران يبحث عن العمل مصورا ذلك المكان بمشاهد مليئة بالأسى والاشمئزاز وقسوة والده عليه .

تحدث الروائي عن كل الأماكن التي عاش فيها بكل مرارة وهذا ما يؤكد لنا أن رواية الخبز الحافي هي رواية سيره ذاتية .

-**هيمنة الراوي على الحوار:** الحوار الذي يجري بين الشخصيات في الرواية السير ذاتية أغلب أقوالها تصلنا وفق الراوي الذي يدرج ذلك الحوار في كلامه ناقلا إما من تبادل حواري بين الشخصيات إلى خطاب مروي مغيبا أطراف الحوار، منتقلا من صيغه الأفعال الدالة على الحضور في السياق الحواري إلى صيغة الماضي المندرج في سرد الراوي فإذا بخطاب

[1] – الخبز الحافي، ص09.

الراوي يطمس كثيرا مما ارتبط بكلام الشخصيات، وإذا بالشخصيات هي التي تتكلم ولكن الصوت عائد إلى الراوي.[1]

ينقل لنا شكري في روايته الحوار الذي جرى بينه وبين البواب أثناء هروبه من إصطبل الحيوانات ذلك المكان الذي خبأ نفسه فيه حيث قال له البواب هل ستعود؟

قلت له بصوت غاضب:

«– كلا لن أعود إلى هذا المكان القذر.

–مالك هل فعلوا لك شيئا؟

–بالت عليا فرس»[2].

وهذا يكشف لنا أن الحوار الذي جرى بين محمد والبواب هو حوار ذاتي يحكي الراوي فيه بحضور طاغٍ.

–**قوة الذاكرة:** كثيرا ما انصرف الرواة عن الأحداث المستذكرة، إلى التعليق على الأداة التي استعادوا بها تلك الأحداث وتوسلها لبناء عالمهم الروائي–الذاكرة– فجعلوها موضوعا من مواضيع حديثهم في زمن الحاضر ممتحنين قوتها، وقد يسعى الراوي إلى إقناع القارئ

[1] – محمد آيت ميهوب: رواية السير ذاتية، ص385.

[2] –الخبز الحافي، ص111.

بتطابق ما يستذكر من أحداث مع الواقع بنفي النسيان عنه حتى فيما دق من هذه الأحداث وقارب التجريد، وصعب على الذاكرة أن تحتفظ به زمنا طويلا.[1]

يقول الكاتب في روايته:

«تذكرت قبر أخي سيضيع كما تضيع الأشياء الصغيرة وسط الأشياء الكبيرة »[2]

ويضيف أيضا:

«ذكرني وضعي في الكوخ بذلك الصباح الذي حبسني فيه صاحب الغرفة تذكرت مص البرتقال على الشجرة»[3].

فمحمد شكري أمدنا ببعض الأحداث التي استذكرها في روايته وذلك للتأكيد على قوة ذاكرته وامتناعها عن النسيان وخصوصا حادثة موت أخيه عبد القادر التي تركت فيه صدمة نفسية لم يتخطاها طيلة حياته.

[1] –محمد آيت ميهوب: رواية السير ذاتية، ص321، 322.

[2] –الخبز الحافي، ص27.

[3] – نفسه، ص134.

الفصل الثاني

دواعي العنف وتجلياته في رواية الخبز الحافي:

-ماهية العنف

-الدافع الأسري

-الدّافع السّياسي والاقتصادي

-الشارع

-الاستغلال

-ماهية العنف:

ورد في لسان العرب: عنّف: الخرق بالأمر وقلّة الرّفق به، وهو ضد الرفق عنف به، وعليه يعنف عنفا وعنافة وأعنفه وعنّفه تعنيفا وهو عنيف، إن لم يكن رفيقا في أمره، واعتنق الإمارة أخذه بعنف وفي الحديث: «أن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»، هو الظن الشديد والمشقة وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله.[1]

أمّا في علم الاجتماع العنف هو الاستعمال غير القانوني لوسائل القصر المادي أو المدني، ابتغاء تحقيق غايات شخصية أو جماعية.[2]

وقد جاء في معجم مصطلحات الطّب النفسي أن العنف مرض نفسي يهتم به الطب النفسي في عدّة جوانب ومنها الجذور البيولوجية والدوافع النفسية والعوامل الأخرى، التي تحدث وراء سلوك العنف مثل تأثير العقاقير والبيئة وارتباطه ببعض الأمراض كالهوس الفصام، واضطراب الشخصية.[3]

وتعرفه المنظمة الصحة العالمية ظاهرة العنف ضدّ الأطفال بأنّه الاستخدام المعتمد للقوة الجسدية أو النفسية وذلك إما عن طريق التهديد أو الاستخدام الفعلي لها من قبل فرد

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب،مجلد4، باب العين، مادة (عنف)، دار المعارف، طبعة جديدة، ص3132.

[2]–فايزر الصياح: علم الإجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، بيروت، 2005م، ص267.

[3] – لطفي الشربيي: معجم مصطلحات الطب النفسي، مركز تقريب العلوم والصحة، ، مصر، دت ص203.

ضدّ نفسه أو ضد شخص آخر، أو جماعة مما يؤدي إلى حدوث إصابه أو وفاة أو الإصابة النفسية أو سوء التنشئة أو الحرمان.[1]

اختلفت تعريفات العنف باختلاف فروع المعرفة فهناك من الباحثين الذين أطلقوا اسم «العنف على كل فعل يمارس بقوة حادة ضد الغير، ومنهم من استعمل كلمة عنيف عندما يتعلق الأمر بشخص أو بطبعه، ونعني ذلك الشخص الذي يتصرف بطريقة عنيفة ضدّ كل ما يقاومه»[2].

وهناك من عرفه أيضا: «بأنه القوة التي تهاجم الآخرين وخيراتهم أفراد وجماعات بقصد السيطرة عليهم بواسطة الموت أو التدمير أو الإخضاع والهزيمة»[3].

وعليه يمكن أن نحصر مصطلح العنف «بأنه يتمثل في مختلف أشكال التعبير العدواني مصحوب بانفعالات الانفجار والتوتر وكأي فعل آخر لا بد من أن يكون له هدف يتمثل في تحقيق مصلحة معنوية أو مادية، وقد ينظر إليه كظاهرة اجتماعية تتكون من عدة

---

[1] –نرمين حسن السلطاني: سيكولوجية العنف وأثره على التنشئة الاجتماعية للأبناء، السعيد للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، ص148.

[2] – محمد الهلالي وعزيز لزرق: العنف، دار توبقال للنشر، ط1، دار البيضاء، 2009، ص09.

[3]– محمد سليمان: مشكلة العنف والعدوان لدى الأطفال والشباب، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2008 ص24.

أفعال مجموعة من الفاعل، والعنف هو أحد المظاهر التي صاحبت الإنسان خلال مختلف وجوده على سطح الأرض»[1].

-دواعي العنف في رواية "الخبز الحافي وتجلياته".

-الدافع الأسري:

تعتبر الأسرة المؤسسة النفسية والاجتماعية الأولى بالنسبة للطفل، ففيها تتشكل شخصيته وفيها يمارس أوّل أنواع التفاعل الاجتماعي في إطار التنشئة الوالدية فالآباء هم المسؤولون أساسا عن تزويد أبنائهم بالنمو الآمن ليصبحوا أفراد أسوياء في المجتمع، وهذا يشمل الإشباعات الفيزيائية الأولية من المطعم والملبس والمسكن والرعاية والحماية من الأخطار، ويعتبر الامتناع عن تحقيق أي جزء من مما سبق نوع من أنواع العنف والإهمال المعنوي يعرفه فريد أريخ وهيللر «على أنه الفشل في إمداد الطفل بالعاطفة والمساندة لنموه الانفعالي والنفسي، ويتضمن أي سلوك سلبي يأتي من الوالدين والذي يتعارض مع الصحة النفسية للطفل»، ومثل هذا العنف عرفه جارينو ورفاقه أنه: «واحد من خمس صور من السلوك النفسي المدمّر».[2]

---

[1] -مصطفى عمر التير:العنف العائلي، الحادمية نايف للعربية للعلوم الأمنية، ط1، الرياض، 2008 ص20.

[2] -علي إسماعيل عبد الرحمن: العنف الأسري ،الأسباب والعلاج، مكتبة نور https://www.noor.book.com، ص24.

و الأطفال هم الأكثر عرضة للعنف لأنّهم يمثّلون الفئة الضعيفة بين أفراد الأسرة لأن مرحلة الطفولة هي المرحلة التي يحتاج فيها الطفل للرعاية والاعتناء من قبل والديه وتوفير كل احتياجاته الخاصة سواء المعنوية أو المادية.[1]

و حرمان الطفل من تلك الضروريات الأساسية، تتسبب في سوء تكوين الطفل وتربيته وذلك كله نتيجة تعرضه للعنف من جهات متعدّدة فقد يكون من الأب أو الأم وقد يكون من طرف الاثنين.[2]

فالعنف الأسري يعدّ أشدّ أنواع العنف لأنه خيانة في موضع الأمان وقسوة في موضع الحنان، فالطفل إن لم يجد الأمل في أسرته فأين سيجد الأمان إذن؟[3]

فالتربية العنيفة التي ينشأ عليها الطفل هي التي تولد فيه العنف وتجعله ضحية له حيث تتشكل لديه شخصية غير واثقة مما يؤدي إلى جبر هذا العنف في المستقبل بالعنف بحيث يستقوي على الأضعف منه فالعنف يولدُ العنف.[4]

---

[1] –محمد الهلالي وعزيز لزرق: العنف، ص17.

[2] –علي إسماعيل عبد الرحمن: العنف الأسري، ص24.

[3] –محمد هلالي وعزيز لزرق: العنف، ص17.

[4] –أحلام حمود الطيري: العنف الأسري، مركز معلومات والتخطيط بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط1 الكويت، 2013، ص11.

فمهمة التربية في نظر الأخصائي النفسي "لوك" تكمن في صناعة عقل سليم في جسم سليم، ولقد عدّ لوك عقل الطفل صفحة بيضاء تنطبع عليها التجارب تحدّد مصير الطفل ومستقبله هو حياته بأكملها وأولى انتقاء التجربة المفيدة للطفل أهمية بالغة.[1]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن "لوك" حدّد لنا كيفية تربية الأطفال، وذلك منذ الصغر لأنّ عقل الطّفل عبارة عن صفحة بيضاء كما ذكر، ومن واجب الآباء أن يعلموا أبناءهم التجارب الجيدة والمفيدة لكي يكونوا في المستقبل ذوي فائدة، وأن يجنبوهم الأشياء والأفعال التي ستؤثر عليهم في المستقبل وتعرف تكوينهم الشخصي، وإلى جانب لوك نجد أيضا الأخصائي روسو الذي سلك نفس المذهب في كيفية تربية الأطفال تربية حسنة فروسو يقول «بأن تربية الأطفال تقوم على الخبرة...وحذر أن نستبدل الشيء بالكلمة حيث لا يستحل إحضار الشيء إننا نهب الكلمات قدرة مفرطة... دروس الصغار تأخذ صيغة الفعل لا القول».[2]

هكذا إذن فروسو ركّز أيضا على تعليم الصغار الأفعال المفيدة والحسنة والتي ستكون بالنسبة لهم قدوة مفيدة لحياتهم الشخصية في المستقبل لأن الطفل يقلد ويتعلم من الكبار وخاصة من والديه لذا يجب أن يأخذوا الأفعال الحسنة والمفيدة لهم.

---

[1] –ميخائيل إبراهيم أسعد: مشكلات الطفولة والمراهقة، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت 1986، ص41.

[2] – نفسه، ص51.

فنحن نلاحظ أنّ الأولاد يتقاضون مشاعر والديهم من خلال الأفعال والأقوال التي يقومون بها، فالأهل الذين يقدرون الظاهرة التربوية يشجعون أبنائهم على إقامة اتجاهات إيجابية لتكوينهم، أمّا الوالد الذي يهمل أبنائه ويعاملهم معاملة قاسية فإنه يشجع ابنه على القيام بنفس تلك السلوكات دون أن يكون على دراية بها.[1]

و لقد فسرت لنا بعض الدراسات أن الأشخاص الذين مارسوا ألواناً شديدة من العنف كانوا قد خضعوا لنوع صارم وحازم من التربية العنيفة في صغرهم ولم يسمح لهم بالتعبير عن أنفسهم بحرية بمعنى أن مشاعرهم مكبوتة خرجت، وطغت بشكل عنيف.[2]

ومن خلال هذا التعريف يمكن قول إنّ الأطفال الذين عاشوا في محيط أسري عنيف والذين تلقوا تربية عنيفة من قبل والديهم في صغرهم ذلك كله يؤثر بالسلب على حياتهم الشخصية وبالتالي يصبحون في المستقبل أفرادا لا يملكون في قلوبهم سوى العنف والحقد... والشخص العنيف هو ذلك الشخص الذي عانى بشدة في طفولته وبالتالي يتحول مفهوم الأسرة التي تعرف بأنها البيت الذي يحمل المودة والمحبة إلى جهنم ويهدّد حياة وطفولة ذلك الطفل الصغير الذي نجده يعاني من محبة والديه إلى عنف وشراسة من قبلهم وبالتالي يشاء ذلك العنف بأي طريقة كانت.

---

[1] –ميخائيل ابراهيم أسعد: مشكلات الطفولة، ص210.

[2] –عبد الرحمن العيساوي: اضطرابات الطفولة وعلاجها، دار الكتب الجامعية، ط1، لبنان، 2008 ص16.

فالأطفال الذين يشعرون بالرفض من قبل والديهم تتولد لديهم مشاعر الاغتراب لا تزيلها النشاطات الممتعة مع فئة الأقران، وإنّ أحس الولد بعدم ترحيب البيت به نما لديه إحساس حاد بالفراغ دون أن يكون لديه مكان يرتاح إليه أو ملجأ له وقد يكون البيت في حالات أخرى فوضوي وعديم الاستقرار.[1]

وبالعودة إلى رواية "الخبز الحافي" نلاحظ أن الروائي نشأ في بيت أو وسط مضطرب مما ولد لديه شعور بالفراغ والنقص ، وذلك بسبب عنف الأب وتسلّطه على الأسرة بحضوره العنيف، فهو نجده دائما يضرب ويصرخ ويعذب أبناءه الصغار لأتفه الأمور وذلك الأمر خلق في نفسية محمد شكري شعور الاعتراض لأنه عانى من حرمان العاطفة والحنان التي من المفروض أن يتلقاها من قبل والديه.

كما تعرض للصخب في المنزل الذي يعيش فيه مما سبب له مصاعب سلوكية سلبية.[2]

فالمعاملة القاسية التي يعامل بها الآباء أبناءهم تؤدي إلى انطواء الطفل وإلى إثارة المشكلات المرتبطة بالناحية الجنسية وقد تؤدي أيضا إلى خلق سلوك الجموح والشغب والتخريب والعدوان.

---

[1] –ميخائيل إبراهيم أسعد: مشكلات الطفولة والمراهقة، ص220.

[2] –الخبز الحافي، ص11، 12.

فكل الدراسات والشواهد تؤكد على أهمية البيئة التي يعيش فيها الطفل ودور التنشئة الأسرية في تكوين سلوكه وبالخصوص المعاملة الوالدية التي يتلقاها في المنزل وذلك ما نلاحظه من خلال العبارات التي قالتها إليزابيث هيرلوك عن هذا الموضوع:

«إذا عاش الطفل في بيئة تنقده تعلم أن يلعن الآخرين، وإذا عاش في بيئة تكرهه تعلم أن يحارب الآخرين وإذا عاش في بيئة تخيفه تعلم أن يكون متوجشا للشر»[1].

وهذا ما نلاحظه من خلال اطلاعنا على رواية الخبز الحافي حيث إن الروائي عاش في بيئة أسرية عنيفة، فقساوة أبيه عليه أثّرت على حياته الشخصية فبدلا أن يكون إنسانا صالحا أصبح شخصا عنيفا وكل ذلك بسبب سوء التربية التي تلقاها من طرف والديه.

فالعنف الأسري أوّل دافع من دوافع العنف لدى محمد شكري وذلك يظهر لنا بوضوح في روايته، حيث كتب:

«أبي يعود كل مساء خائبا، نسكن في حجرة واحدة »[2]

استطرد: «أبي وحش عندما يدخل لا حركة لا كلمة إلا بإذنه »[3]

ويقول في مقام آخر:

---

[1] –علاء الدين كفافي: رعاية نمو الأطفال، دار قباء للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1998، ص79.

[2] – الخبز الحافي، ص12.

[3] – نفسه، ص12.

«يضرب أمي دون سبب أعرفه، سمعته مرارا يقول لها: سأهجرك يا بنت القحبة دبري أمرك مع هذين الجروين».[1]

كل ذلك أثر بالسلب على حياة الكاتب وجعل منه ذلك الطفل العنيف سيطر والده المتوحش، المتجبر، والمسيطر، على الأسرة بحضوره العنيف، فكان المصدر الأول والأساسي للعنف في حياة الكاتب محمد شكري، فهو بالنسبة له هو ذلك الشخص المتوحش الذي يصفع ويصرخ مثل الحيوان يقول الروائي:

«يشتمنا يسب العالم دائما ويجرف على الله أحيانا» [2]

و هذا العنف أصبح وباء يهدد حياته وحياة باقي أفراد أسرته، وبالتالي تحول مفهوم الأسرة من بيئة دافئة إلى بؤرة للشقاء.[3]

ونلاحظ أن شكري لم يكره والده فحسب بل كره أمّه أيضا، لأنه يراها ضعيفة أمامه عاجزة من مواجهته يقول شكري من خلال الرواية: «حبي لها يمتزج بكراهيتي لأبي» [4]

وهكذا أصبح ذلك الطفل الصغير البريء يحمل في قلبه الكره والحقد وهو الأمر الذي جعل منه شخصا متمردا في كل ما يفعله من الأمور العنيفة، فالمحيط الأسري العنيف

---

[1] – الخبز الحافي، ص12.

[2] –نفسه، ص12.

[3] –أحلام حمود الطيري: العنف الأسري، ص10.

[4] – الخبز الحافي، ص24.

الذي ترعرع فيه سبّب له أزمة نفسية وجعل منه ذلك الطفل العنيف فكان يشعر بالعنف والحقد اتجاه كل ما يراه، وصف لنا ذلك العنف الذي يحمله في داخله في إحدى المشاهد حيث كانت أمه تصطحبه معه إلى السوق، وفي طريقها التقت بامرأة أخذت تتكلمان عن والده و يقول الكاتب واصفا ذلك الحديث :«لامست المرأة شعري تركت يد أمي وتمسكت بجانبها، قالت المرأة لماذا محمد حزين هكذا؟ نظرت إلى أمي لافة معصمها حول عنقي خف غضبي»[1].

وهكذا أصبح الروائي إنسانا يسكنه الحقد والكراهية وذلك كله جراء العنف الذي تجرعه من أبيه.

فعنف الأب لم يتوقف هنا فهو لم يكتف بالضرب والشتم فقط بل استمر في تعذيب الأسرة حتى وصل به الأمر إلى قتل ابنه الصغير في إحدى نوبات غضبه، حيث كان ابنه الأصغر عبد القادر يبكي من شدّة الجوع لأنّه هو وإخوته لم يتناولوا الطعام لمدّة يومين كاملين، فلم يتحمل ذلك الجوع وبدأ يصرخ وحين دخل والده وجده في تلك الحالة لم يتحمل ذلك الصراخ فقام بقتله ،نقل لنا الكاتب الحادثة وجعلنا نلمس مأساته: «أخي يبكي يتلوى ألما، يبكي الخبز، يصغرني أراه يمشي إليه الخوف في عينيه يداه أخطبوط لا أحد يقدر أن

[1] – الخبز الحافي، ص90.

يمنعه، امنعوه، يلوي اللعين عنقه بعنف، أخي يتلوى، الدم يتدفق من فمه»[1]، ولما تتدخل والدتي فمصيرها الضرب والشتم إذ يقول: «يسكت أمي باللكم والرفس»[2] .

وهذه الحادثة أثّرت كثيرا على نفسية الروائي وبقى ذلك الجرح العميق يسكن داخله ويعذبه، فسببت له أزمة نفسية ترتب عنها الكره والغضب والحقد اتجاه أبيه، حيث نجده يقول: «أكره الناس الذين يشبهون أبي في الخيال لا أذكر كم من مرة قتلته، لم يبق لي إلاّ أن أقتله في الواقع ».[3]

ويقول أيضا: «إنه في خيالي كغريم البطل على الشاشة، أنا البطل ضغطت على الزناد طراطاك طط... طراطاطاطاطران أبي يموت». [4]

قساوة الأب وعنفه الشديد على ابنه جعلت من محمد ذلك الطفل العنيف الذي يسعى إلى قتل والده، لكي يخفّف من شدّة ألمه نحوه.

وفي الوقت الذي تزداد فيه قساوة الأب تجاه الأسرة، نجد في المقابل سلبية الأم وضعفها أمام عنف ووحشية الأب، مما سهل له الطريق في تعذيب الأسرة وقد لاحظ شكري ذلك منذ أن كان طفلا حيث وصف لنا العلاقة القائمة بين أبيه وأمه من خلال مقارنة قوّة أبيه وضعف أمّه:

---

[1] – الخبز الحافي، ص12.

[2]– نفسه، ص12.

[3] – نفسه، ص89.

[4] – نفسه، ص90.

«يضرب أمي دون سبب أعرفه سمعته مرارا يقول لها سأهجرك يا ابنة القحبة، يقول لأمي أنت قحبة بنت قحبة»[1].

«شبح أمي صوتها خفيف لماذا ليست قوية مثله؟ الرجال يضربون النساء وهنّ يبكين ويصرخن»[2].

ومن خلال هذه الأقوال قد بين لنا الكاتب ضعف أمّه واستسلامها لزوجها وذلك بسبب جها وخوفها الشديد من والده فاحتقر أمه ومن خلالها كل النساء:

«عندما أكبر ستكون لي امرأة سأخاصمها في النهار بالضرب والشتم». [3]

تلونت الحياة بالقتم في نظر ذلك الطفل الصغير الذي نشأ في أسرة لا تعرف سوى الضرب والشتم وغياب الحنان والعاطفة التي من المفروض أن يوفرها الوالدين.

-الدافع السياسي والاقتصادي:

ومن دوافع العنف في رواية شكري كذلك الدافع السياسي وما ينضوي تحته من عنف ومفهوم العنف السياسي عند بربار وتمر هو ذلك العنف الذي يرتكب بغية تحقيق أهداف سياسية، ويشمل العنف الذي تقترفه دولة ضدّ دولة أخرى مثلا الحرب وهكذا العنف

---

[1] – الخبز الحافي، ص12.

[2] – نفسه، ص12.

[3] – نفسه، ص29.

يستهدف الناس بصورة شمولية والذي يخلق الدمار والفقر والقتل والمجاعة والتشرد وغيرها...[1]

وهذا ما نلاحظه بشدّة في بداية الصفحات الأولى من رواية شكري حيث بدأ سرده الذاتي بمظاهر الجوع والفقر والبؤس والحرمان لأن بلاده المغرب في تلك الفترة كانت تحت ظل الاستعمار، إذ بدأ روايته بفاجعة الموت نتيجة الجوع حيث يقول:

«أبكي موت خالي والأطفال من حولي، يبكي بعضهم معي لم أعد أبكي فقط عندما يضربني أحد أرى الناس أيضا يبكون»[2].

المجاعة في الريف، القحط والحرب، حيث كان الناس في تلك الفترة يعانون من عوز شديد والمجاعة في كل مكان يقول محمد شكري في مشهد آخر «ذات مساء لم أكف عن البكاء الجوع يؤلمني أمص وأمص أصابعي اتقيأ ولا يخرج من فمي غير خيوط من اللّعاب». [3]

وكل ذلك مراده إلى العنف الذي مارسه المستعمر على الشعب المغربي، الذي يظهر لنا في ضياع الناس وهروبهم من بلادهم بحثا عن الأكل والأمان الذي حرموا منه في

---

[1] –باربار وتمر: الأنماط الثقافية للعنف، ت: ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب والنشر، ط1، الكويت، 2007، ص167.

[2] –الخبز الحافي، ص07.

[3] – نفسه، ص9.

تلك الفترة الحربية، فمقاومة المستعمر أمر صعب للغاية، والسعي من أجل البقاء أمر ضروري أيضا.

ونلاحظ أنّ المجاعة انعكست بشدّة على أصحاب الريف وبالأخص حياة الكاتب وأسرته ومجتمعه ككل ،وكانت أول معاناة محمد شكري في الحياة وهو طفل صغير البحث عن الأكل (الخبز) ونلتمس ذلك في قوله: «أمي تقول لي بين لحظة وأخرى اسكت سنهاجر إلى طنجة هناك خبز كثير لن تبكي على الخبز عندما نبلغ طنجة الناس هناك يأكلون حتى يشبعوا».[1]

وهذا يؤكد لنامرة أخرى معاناة عائلة محمد شكري من العوز وشدة الفقر وذلك كله بسبب الحرب، وهذا الأمر الذي أدّى بهم للهجرة في كلّ مكان حتى في طنجة، يقول الروائي:

«في طنجة لم أر الخبز الكثير كما وعدتني به أمي، الجوع أيضا في هذه الجنة، لكنه لم يكن جوعا قاتلا...»[2]

حتى صار الجوع هو الكابوس الوحيد في حياة الكاتب يقول محمد شكري: «حين يشتد عليّ الجوع اخرج إلى حي عين قيوط، أفتش في المزابل عن بقايا ما يؤكل، وجدت

---

[1]- الخبز الحافي، ص9.

[2] - نفسه، ص10.

طفلا يقتات من المزابل مثلي...»، قال: «مزابل المدينة أحسن من مزابل حيّنا، زبل النصارى أحسن من زبل المسلمين»[1]

وهنا يكتشف محمد شكري الشارع بانضمامه إلى أطفال المزابل في مدينة طنجة، إذ يقول: «بعد هذا الاكتشاف صرت أحيانا اذهب أبعد من حيّنا، وحيدا أو صحبة أطفال المزابل»[2].

وهكذا أصبح الروائي يسدّ جوعه من المزابل ويقتات منها حتى أصبحت عادة بالنسبة له.

مثّل الدّافع الاقتصادي عاملا أساسيا في انتشار العنف على كل المستويات في مساعي النّاس تلبية حاجياتهم من خلال مجموعة من السلوكيات المؤذية لهم وللآخرين وللجماعة بشكل عام، وهذه السلوكيات هي سلوكيات عنيفة، لأنّها تتحدّى أو تنتهك حرمة العلاقة السلمية بين الذات والعالم الضرورية من أجل البقاء. [3]

كما أنّ الفقر يؤدي إلى تفاقم الأزمات بسبب انخفاض مصادر التدعيم المادي.

وهذا ما يبرز في رواية الخبز الحافي فالحرب التي أصابت المغرب خلال فترة المستعمر أدّت إلى تشرّد النّاس، والعيش في ضياع وخوف وجوع واغتصاب وقهر جسدي

---

[1] – الخبز الحافي، ص9.

[2] – نفسه، ص10.

[3] – باربار ويتمر: الأنماط الثقافية للعنف، ص168.

ممّا أدّى إلى تدنّي المستوى المعيشي وانتشار المجاعة من أجل مقاومة الجوع أصبح العنف ضرورة. [1]

وكان محمد شكري يمارس السرقة من أجل سدّ جوعه الشديد الذي يعتبر نوعا من أنواع العنف، حيث يقول:

«سأسرق كل من يستغلني حتى ولو كان أبي وأمي هكذا صرت أعدّ السرقة حلالا مع أولاد الحرام». [2]

-الشارع

يصير الشارع الملجأ الوحيد بالنسبة للروائي هروبا من عنف العائلة، بحثا عن ذاته وفرض شخصيته، والشارع عبارة عن فضاء مليء بالعنف حيث نجد فيه كلّ أنواع العنف يمارس على الأطفال والمراهقين، وفي الشارع يقيم محمد شكري علاقات تفاعلية مع الأطفال وذلك يمثل عاملا هاما في تحديد ما إذا كان الطفل سينمي إحساسا بالانتماء أو الاغتراب ويتسع هذا الإحساس ببدء الطفل المساهمة في الفعاليات المختلفة للحيّ والجوار مثل عصابات الزّوايات وجماعة الحي والكاشفة والنوادي وغيرها.[3]

---

[1] -علي إسماعيل عبد الرحمن: العنف الأسري الأسباب و العلاج، ص45.

[2] - الخبز الحافي ، ص30.

[3] -ميخائيل ابراهيم أسعد: مشكلات الطفولة والمراهقة، ص212.

وهذا ما نلاحظه من خلال الرواية، حيث نجد أن الرّوائي صاحب عصابات الزاوية والتي تعيش في هامشية المجتمع، وكان يقصد النوادي رفقة مجموعة من الأطفال المنحرفين أخلاقيا، يقول شكري:

«اشترينا نصف زجاجة من الماحيا وشاربناها عند حافة جبل ترسة اتفقنا أن نذهب إلى الماخور...»[1].

كلّما كان شكري سكيرا اتّجه إلى النوادي ليطلق العنان لشهواته.

فالشارع يعتبر دافعا من دوافع العنف أيضا لأنه لعب دورا مهما في حياة الكاتب وقد أثّر عليه بالسلب نظرا لما يحمله من أشكال الظلم والقهر والسلب.

تؤكد نظرية التعلّم الاجتماعي أنّ الأطفال يكتسبون العديد من السلوكيات عن طريق مراقبة سلوك الآخرين وتقليدهم.[2]

يحتل الشارع مساحة كبيرة في رواية الخبز الحافي ويطغى عليها بشدّة، لأن محمد شكري قد عاش كلّ طفولته في الشّارع ويظهر لنا عنف الروائي من خلال تشرّده وضياعه حيث نجده يقول:

---

[1] – الخبز الحافي، ص42.

[2] –علي اسماعيل عبد الرحمن: العنف الأسري الاسباب والعلاج، ص38.

«أنا أزداد شراسة مع أمّي أو مع أطفال الحي إذا انهزمت معها أو معهم أكسر الأشياء، أعارك نفسي باكيا شاتما إياها»[1].

وهكذا تزداد شراسة الكاتب وعنفه يوما بعد يوم، ومع الأيّام يتحوّل الشّارع بالنّسبة له إلى فضاء يمارس فيه كل ما يريد ،فهو بالنسبة له المكان الوحيد الذي يحقق فيه حريته .

ولأنّه كان جاهلا وأمّيا سعى فقط من أجل تلبية حاجياته الضرورية

كتب شكري: «في فصل الشتاء تعودت أن أنام في ركن مخبزة، أكو نفسي كالقنفذ، ألصق ظهري إلى جدران الفرن الساخن».[2]

قسوة والده تسببت في خروجه من البيت إلى دروب المدينة فسلبت منه طفولته ومراهقته وبات يخاصم أيّ شخص يسيء إليه أو لعائلته، وقد كان أول عراك حقيقي له مع كوميرو في السوق الخارجي لأنه أهان أخته أرحيمو وصفعها كتب شكري:

«بصقت عليه وبدأنا نتضارب بالأيدي، كان أقوى، يضرب بكل ثقل جسمه كنت أمامه مثل ريشة، أراوغه حتى لا يقبض علي بيده هكذا كانت حيلتي مع كل الذين تضاربت معهم»[3].

---

[1] – الخبز الحافي، ص25.

[2] – نفسه، ص72.

[3] – نفسه، ص122.

فالأولاد الذين لا يتقبلهم أقرانهم والذين يعيشون ضمن فئات الحي والجوار، غالبا ما يشعرون بالاغتراب في لمجتمعهم، والاغتراب أساسا مشكلة المراهقين الذين يرفضون القيم الاجتماعية السائدة، ويعجزون عن أداء أدوار ذات معنى مثلما حدث للروائي، فالاغتراب عند شكري بدأ خلال فترة طفولته والعزلة والوحدانية التي عانى منها، ممّا أدّى به إلى عدم تعلّم قيم المجتمع الكبير ، مجتمع أوسع من أسرته ففشل أن يكون جزءا منه. [1]

-الاستغلال

عندما أصبح محمد شكري شاباً عثر له أبوه على عمل حيث قام ببيعه لصاحب المقهى كتب الروائي:

«عثر لي أبي على عمل في مقهى شعبي في نفس الحيّ قدمني إليه أبي»[2]، لكن أبيه كان يقسى عليه وعلى أمّه وكان يستغلّهما ويأخذ أجرة محمد شكري منه يقول الكاتب: «كل شهر يجيء أبي إلى صاحب المقهى يعطيه ثلاث بسيطة من عملي»[3]، ويضيف أيضا قائلا: «في اليوم الذي أقبض أجرتي يغيب يوم أو يومين أحيانا يعود ثملا، أنه يستغلنا أنا وأمي...».[4]

---

[1] – ميخائيل ابراهيم سعد: مشكلات الطفولة الأسباب والعلاج، ص50.

[2] – الخبز الحافي، ص29.

[3] – نفسه، ص12.

[4] – نفسه، ص29.

وفي المقهى تعلّم شكري كلّ أنواع الآفات من شرب الخمر والتّدخين والسّرقة إذ يقول: «أدخّن الكيف والسجائر في الخفاء...»، ويقول أيضا: «حين أتسخر لأحد زبائن المقهى يعطيني سبيا من الكيف أو كأس خمر أو قرص من معجون الحشيش...».[1]

وعمله بالمقهى جعله يتعاطى كل هذه الأمور، وكان يتلقى الدعم والمساندة من قبل الزبائن:

«رواد المقهى يشجعونني على تدخين الكيف وأكل معجون الحشيش».[2] ولم يكن صاحب المقهى يعارض سلوكه لأنّه هو أيضا يسكر ويتحشش وهكذا أصبح شكري ضائعا، ومتشردا في عالمه خاصة وأنه لم يكن ينام في مكان واحد حيث كتب: «أحيانا أنام في مقهى فوق المقاعد، أحيانا أنام في المخبزة الإسبانية». [3]

كما كان يسرق معلمه أثناء غيابه حيث يقول الروائي : «في غيابه أضاعف سرقتي له، أنّ معلّم الوفاق يغلبه النّعاس في اللّيل والنهار»، ويقول أيضا: «كنت أقبض الفلوس من الرواد وأضعها في صندوق خشبي فوق الحاجز...».[4]

وبعدما ترك عمله في المقهى اشتغل في معمل الفخار، كتب شكري:

---

[1] – الخبز الحافي، ص30.

[2]– نفسه، ص31.

[3] – نفسه، ص31.

[4] – نفسه، ص32.

« صفعني مخدومي فهربت...»[1].

فهو أيضا كان يقسو عليه لأنه كان يدفع العربة ثمانية أو تسعة ساعات في اليوم لكن هذه المرة هو الذي يقبض أجرته لكنه كان يقدم ضعفها لوالده مقابل الأكل وغسيل الثياب والنوم في المنزل، وكان يقول لأمه:

«أنا لم أعد حمارا الحمار هو الذي يظلّ يحمل الأثقال ويجرها».[2]

وبعد أيام غادر كذلك معمل الفخار وعمل كماسح للأحذية وهكذا انحدر إلى دروب المدينة المظلمة ، فكان يطوف على المقاهي والحانات وفيها يلتقط الأعقاب يقول الروائي: «اشرب ثمالة كؤوس الخمر والمشروبات الغازية وبقايا الطعام في الصحون الصغيرة أجمعها».[3]

وهكذا اتضح لنا أن شكري مارس كل أنواع المحرمات لأنه عاش ضمن الفئة المهمشة في المجتمع و التهميش يقود حتما إلى انتشار العنف لأن الأحياء التي تنشأ على أطراف المدن والقرى تعاني من إهمال السلطة، وعدم صدّها بالمواقف والخدمات يولد لدى

---

[1] – الخبز الحافي، ص38.

[2] – نفسه، ص39.

[3] – نفسه، ص40.

سكان هذه المناطق الشعور بالتجاهل وعدم الاهتمام فيتجهون إلى العنف، والمهمشين اجتماعيا هم فئة القمامة الأكثر عنفا من غيرهم[1].

وشكري عاش من القمامة، فهوكان يقتات من المزابل كما سبق وأن ذكرنا وبالتالي فهو من الفئة المهمشة اجتماعيا، والإنسان الذي يكون مهمشا يكون أكثر عنفا من غيره.

[1] – علي إسماعيل عبد الرحمن: العنف الأسري، الأسباب والعلاج: ص49.

الفصل الثالث

الشذوذ الجنسي وأشكاله في رواية الخبز الحافي:

-التربية الجنسية

-التبصّص

-البغاء (الدّعارة)

-الجنسية المثليّة

-البيدوفيليا والاغتصاب

-الزوفيليا

-التربية الجنسية:

الجنس هو النواة الأساسية التي تبنى عليها الحياة، فلولاه لما كان لنا نسل وهو دافع فطري موروث في الكائن الحي إنسانا كان أم حيوانا، وهو تلك العلاقة الحميمة التي تحدث بين الذكر والأنثى، سواء كانت تلك العلاقة شرعية أو غير شرعية.

لكن الجنس كظاهرة طبيعية قد يشذّ على الفطرة فيصبح شذوذا، والشّذوذ الجنسي كظاهرة تعود إلى ثلاثة عوامل أحصاها علماء النفس كما يلي:

1- التعامل القاسي للطفل من قبل والديه مما يؤدي بالطفل إلى البحث عن العاطفة التي يفتقد إليها عند من يوفرها له من الأصدقاء بالنسبة للذكر أو الصديقات بالنسبة للإناث.

2- تعرض الطفل إلى اعتداء جنسي وهذه الحالة تؤدي إلى انطواء الطفل أو التوحد مع الشخص المتعدي وينجذب إلى معاشرته.

3- كما يكون ناتجاً عن حالة كبت ناجمة من عدم السماح باختلاط الجنسين في المجتمعات القبلية المحافظة، مما قد يتسبب في انتشار ظاهرة المثلية الجنسية رغم نبذها ظاهريا.[1]

[1] - حسن سراج: المثلية الجنسية، الجنس الثالث الآيمو، مكتبة نور https://www.noor.book.com، ص9.

فعلماء النفس يتفقون بأنّ مصير الإنسان يكمن في الماضي وليس في المستقبل أي أنّ مصير الإنسان يتحدّد في طفولته على اعتبار أن منبع وأساس معظم الأمراض النّفسية ترجع إلى ما عاشه الطفل في طفولته لا سيما ما في مرحلة المراهقة.[1]

والتربية الجنسية كما هي معتمدة في المدارس الغربية تبدأ في المراهقة، نظرا لأهمية هذه الفترة الزّمنية في مستقبل الفرد كشخص سويّ، والمراهقة هي مرحلة الانتقال من الطّفولة إلى الشّباب وتتسم بأنّها فترة معقدة من التحوّل والنمو، تحدث فيها تغيرات عضوية ونفسية وذهنية تقلب الطفل الصغير عضوا في مجتمع الراشدين، وفي الواقع لا يوجد تعريف واحد للمراهقة بل تعاريف متعدّدة فهي فترة النمو الجسدي، وظاهرة اجتماعية ومرحلة زمنية.

ويبقى التعريف الأكثر شيوعا للمراهقة بأنها فترة نمو شامل، ينتقل خلالها الكائن البشري من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد، فالمراهقة مرحلة تأهب لمرحلة الرشد وتمدد في العقد الثاني من حياة الفرد من الثالثة عشرة إلى التاسعة عشر أو بعد ذلك بعام أو بعامين ولذلك تعرف أحيانا باسم المرحلة العشارية ويعرف بها المراهقون بالعشاريين نسبة إلى عقود الأرقام بين عشر سنة و عشرين سنة.[2]

---

[1] – حكمت سفيان: مسببات المثلية الجنسية، مكتبة نور، https://www.noor.book.com، ص03.

[2] –ميخائيل ابراهيم أسعد: مشكلات الطفولة والمراهقة، ص220.

وفي هذه المرحلة تبدأ الاضطرابات عند الأطفال بالظّهور في أي لحظة خصوصا بعد سن الحادية عشرة حيث يغدو الطفل البكر من حيث البلوغ مشغول البال ومهموما طيلة النّهار وتزداد باستمرار صعوبة التنبؤ بسلوكه.[1]

فقد يبدو أحيانا وديا أو مهذبا وفي الأحيان الأخرى منسحبا وكتوما وتنتابه مشاعر الحب والكراهية، فهو مكبّل بقوّة لا يفهمها بسبب الاضطرابات الناتجة عن التغيرات البيولوجية، فهو مبتهج تارة ومكتئب تارة أخرى، ولما كان المراهقون عرضة لمثل هذه المشاعر المثالية وجب على الآباء إرشاد أبنائهم وتعليمهم السلوكات الجيّدة وبالأخص كيفية التحكّم في انفعالاتهم وتربيتهم تربية جنسية جيدة، لأنّ المراهقة هي الفترة التي يتعلم فيها الطفل طرق التقرب من أفراد الجنس الآخر كما يتعلّم العديد من أمور الدافع الجنسي.[2] وحينما نعود إلى رواية الخبز الحافي، نلاحظ أنّ الروائي لم يعش لا طفولة ولا مراهقة، فقد عاش كل طفولته في الشارع والشارع لا يعلم الإنسان سوى الوقوع في الموبقات، فالكاتب مارس كل أنواع الآفات والرّذائل لأنّه كان جاهلا اتّجاه ما يفعله ذلك بسبب غياب الرقابة الأسرية، لذلك أطلق الروائي العنان لشهواته الجنسية، لأنّه لم يستطع أن يتحكم فيها فبات أسير توهجها، فالجنس بالنسبة لشكري تماما حاجة ملحة أولية كالأكل والشرب.

---

[1] –موريس تشربل:التربية الجنسية، دار المناهل للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2015، ص100.

[2] –نفسه، ص100.

فقد وصف لنا الباحثون هول المراهقة بأنها فترة عواصف وتوتر وشدّة تكتنفها الأزمات النفسية وتسودها المعاناة والإحباط والصّراع والقلق والمشكلات، وهو أمر في غاية الصعوبة حيث يحاول المرء أن يكتشف عالما غريبا بذات غريبة مجهولة هي الأخرى. [1]

كما يؤدي نضج الخلايا الجنسية إلى نتائج مهمّة في هذه المرحلة والأمر الأكثر أهمية في هذه الفترة هو بلوغ النمو الانفعالي والاجتماعي، ومصارعة التوترات الشديدة التي تلازم البلوغ الناتجة عن إيقاف الدّافع الجنسي لأن البلوغ هو القوة السرية التي تدفع بالرجال والنساء إلى الانتماء بالممارسة الجنسية.[2]

وبالعودة إلى شكري نرى أنه لمّا وصل إلى سن البلوغ لم يفهم كثيرا ما كان يحدث لجسمه من تحوّلات فيزيائية وكان يسائل الكبار عن ذلك التغير المفاجئ ويظهر ذلك من خلال قوله:

«يؤلمني صدري، سألت عن ذلك الكبار قيل لي إنه البلوغ، الألم في الحلمتين المتورمتين عند الانتصاب...»[3].

فالتوترات الشديدة التي لازمت البلوغ بالإضافة إلى المحيط الأسري العدواني المتفكك يساهم بشكل كبير في إيقاف الدافع الجنسي لديها وبالتالي أصبح تحت سيطرة

---

[1] –ميخائيل ابراهيم أسعد، مشكلات الطفولة والمراهقة، ص227.

[2] – موريس تشربل ، التربية الجنسية، ص99.

[3] – الخبز الحافي، ص33.

النزوة الحيوانية القوية فيه إذ أنّه تماما طفولته ومراهقته وأصبح منغرقا ومهموما في رغباته الجنسية فأصبح همّه الوحيد هو إشباع لذّته الجنسية بأي طريقة كانت.

الجنس ضرورة حتمية كالأكل والشرب والخمر والتناول المهلوسات بالنسبة لشكري.

-أشكال الشذوذ الجنسي في رواية شكري:

1-التبصّص (voyeurisme):

بالعودة إلى رواية شكري نلاحظ أن شكري اكتشف الجنس في غرفة والديه وهو طفل حيث كان ينام بالغرفة الوحيدة التي كانت تجمع والديه إذ كتب:

«أحيانا يغيب أبي يوم أو يومين، حين يعود يتشاجران غالبا ماكان يدميها، لكنني في اللّيل اسمعهما في الفراش يتضحكان ويتأوهان بلذة، أعرف ما كان يفعلان، أنهما ينامان عاريان ويتعانقان...». [1]

فلم يكن يفرّق بين ما هو مسموح به وما هو ممنوع.

وكثيرا ما كان يلجأ إلى التبصّص الذي هو: الإثارة الجنسية من خلال مشاهدة شخص غير متوقع يخلع ملابسه أو عار، أو منخرط في النشاط الجنسي، ويكون ذلك من

[1] – الخبز الحافي، ص26، 27.

خلال المراقبة أو النظر بهدف الاستثارة وتبدأ البصبصة خلال مرحلة المراهقة أو مرحلة البلوغ المبكر، وتعود أحد أكثر الشذوذات الجنسية شيوعا عند الرجال.[1]

ويظهر لنا تبصص شكري من خلال مراقبة بعض الأمور التي تفعلها النساء:

« صعدت إلى شجرة التين في ذلك الصباح أرى آسيا من خلال الأغصان تمشي مختالة على مهل إن اكتشفتني فقد تخبر أباها عني»[2].

فآسيا كانت تقترب من الصهريج لكي تسبح، وكانت تقترب بخوف من أجل أن لا يراها أحد، وبالتالي فهي تتمهل في المشي كأنها تمشي على البيض تخاف أن تكسره واستمر شكري قائلا:

«تقف على درجات السلم كأنها الوحيدة في هذا العالم تفك حزام منامتها، لم أعد أرى سوى جسمها، تفتح المنامة الوردية مثل جناحي طائر يريد أن يطير ينبثق ببياض على جسمها إلى رد فيها يدوخ رأسي بلذة، أنبهر...»[3].

نلاحظ أن شكري قد وصف لنا ذلك المشهد بكل تفاصيله، لأنه كان شديد التأثر بما كانت آسيا تفعله، ومشاهدته لها وهي تتعرى أيقظت الشهوة فيه إذا يقول:

---

[1] –البصبصة :voyeurism اضطرابات الصحة النفسية، دليلmsd ، .https://www.msdmanuels.com.

[2] – الخبز الحافي، ص33.

[3] – نفسه، ص33

«آسيا تتعرى ما أضوء ما في جسمها! ما أسود ما في جسمها! صدرها ملآن ثمرتاهاففلفف منتصبتان... يؤلمني انتصابي... يتعسل فمي يدغدغ يؤلمني جسمي بلذة رعشة حلوة، وقذف لذيذ أرخياني حالما مستندا على فرع الشجرة...»[1].

فالمنظر العاري لفتاة أوصلت شكري إلى قمّة اللّذة، وعلى الرغم من بعده عن آسيا إلاّ أنه قد استطاع الوصول إلى رعشة قوية لأنه استثار بذلك المشهد العاري، حتى وصل به الجنون إلى الحلم بآسيا:

«حلمت ليلا آسيا تفسح حزامها تطفو عارية، تنساب مثل النونة في قاع الصّهريج حلمتني أعوم معها تحتها على جانبينا نقف في عناق ثم نغوص إلى قاع الصهريج لننام...»[2].

فبعد مشاهدته لآسيا وهي تتعرى استلذ بذلك المنظر وظلّ يقضي معظم أوقاته في التبصص، نقل في موضوع آخر:

«رأيت طفلة مناة ترفع ثوبها وقت تقضي طويلا تحت شجرة صغيرة حرست أن أراها ولا تراني»[3].

وظلّ يراقب كل ما كانت تفعله دون أن تراه ويستمر في القول:

---

[1] – الخبز الحافي، ص 34.

[2] – نفسه، ص35.

[3] – نفسه، ص35.

«دخلت على جارتنا في دارها لأطلب منها شيئا لأمي وجدتها تبدل ثيابها الداخلية، بطنها بارز بشع، متمدلان ثدييها، لحمها مترهل إذا هي أجسام النساء ليست مثل جسم آسيا فإن جسم المرأة بشع، بشع، بشع!»[1].

نلاحظ أن شكري قد شهد كل أنواع أجسام النساء وهو ما زال في سن المراهقة وأدرك الاختلاف الموجود بين الطفلة الصغيرة والمرأة البالغة، وقد أعجب بجسم آسيا ومراقبته للنساء لم تتوقف هنا بل هو في استمرار حيث نجده في مشهد آخر يصف لنا فاطمة وهي ابنة صاحب المقهى التي كان يعمل فيها، فيقول:

«دخلت إلى دار صاحب المقهى، ابنته فاطمة تغسل الثياب، منحنية منحسر ثوبها من الأمام... نظرت إليها، قساوة أبي علي توقض شهواتي نحو كل ما هو جسدي، تلتفت إلي باسمة ثوبها الخفيف أراه في الخيال ترفعه في الخيال آسيا أجمل لكن فاطمة قريبة مني وأسهل».[2]

فملاحظته لأجسام النساء ومراقبته لهن سرا، سببت في إيقاظ شهوته الجنسية، وهذا ما نؤكد من خلال قوله:

«قضيبي يدغدغني كلّ يوم أهدّده بأصابعي كأني أهدّد ألم دمل»[3]

---

[1] – الخبز الحافي، ص 36.

[2] – نفسه، ص36.

[3] – نفسه، 35.

وإذا كان همّ شكري الوحيد في طفولته هو الحصول على الأكل، فهو في مرحلة بلوغه نسي البحث عن الطعام، وانشغل بشهواته الجنسية.

فسّر لنا فرويد سبب هذه الظاهرة، أنّها تعود إلى أسباب نفسية عميقة، وكل ما يصاب به الإنسان من اضطرابات النفسية في صغره.

فالنفس حينما تكون في بداية تطورها تكون كالمادة الخامّة سهلة وسلسة، وكلّما كانت المؤثرات السلبية كانت النتيجة سلبية حيث أنّ ذلك الشخص في المستقبل لن يكون صالحا لنفسه ولا للمجتمع وهو بالنسبة لفرويد إنسان مريض.[1]

وهذا ما ينطبق على شكري فبالإضافة إلى معاناته للجوع والفقر المدقع، فهو قد عان الأمرين من تسلط الوالد ورضوخ الأم، وشكّل مقتل أخيه على مرآه منعطفا حاسما في حياته، فأصبح لا يحمل في قلبه سوى الحقد والكراهية اتجاه أبيه واتجاه المجتمع وهذا هو السبب الرئيسي وراء بؤرة الانحراف التي غرق فيها الروائي.

[1] –باربار ويتمر: الأنماط الثقافية للعنف، ص99.

-الاستنماء:

مارس شكري إلى جانب التبصص الاستنماء، والاستنماء هو ممارسة تتم على مستوى الأعضاء التناسلية دون أن ترافقها رغبة جنسية حقيقية، فالاستنماء إذن هو حكّ العضو الجنسي من أجل الحصول على المتعة.[1]

وهي الوسيلة التي لجا إليها شكري لإشباع نزواته استمناء مصحوب بالتخيل.

وهذا ما نلاحظه من خلال روايته إذ يقول:

«إحدى صور مونيك الجميلة أمامي تغمرني، نفخت فيها الحياة تمطّطت مونيك، نفخت الصورة في جسدي رعشة لحم اللذيذ... جسدي يدغدغني، يعنف قليلا، أخرجت ثعباني وبدأت أدلكه وألاطفه، ينفتح يتعسل فمي تتراءى الألوان متموجة...أحسست بخطوات زررت فتحه سروالي...»[2].

فمشاهدته لصور مونيك سببت له تلك الرعشة التي دفعته أن يلامس عضوه التناسلي لكي يشعر بالاستمناء وهذا ما يثير الإشمئزاز من تلك الأمور التي يفعلها وذلك بسبب سيطرة رغبته الجنسية.

---

[1] – حكمت سفيان: مسببات المثلية الجنسية، ص23.

[2] – الخبز الحافي، ص62.

فمن الملاحظ أن شكري قد أثرت عليه مونيك ودفعته أن يمارس الاستمناء المصحوب بالخيال حيث نجده في مشهد آخر يصف لنا مونيك حين أمسكت يده إذ يقول وهنا بدا شكري يتخيلها:

« بدأت أحلم كثيرا ،أحلم أني أطير، وأعيش في كهف مفروش بالحرير وألوان لامعة تزين الجدران والبسط والبخور والعطور... أصفق بيدي فتأتي فتاه رائعة لم تمسها بعد يد إنسان ترقص لي عارية وسط الضباب من البخور وضياء الشموع... »[1]

وفي موضع آخر نجده يصف لنا شهوته بعد مشاهدته لصور مخدومته فيقول:

« في الصورة الثانية مستلقية على الديوان رأسها يتوسد يديها ساقها اليمنى مقوسة قليلا قال لي وضعها هذا: تعال قالت شهوتي لسورتها أنت لي...»[2]

وقد أكدت معظم الدراسات الجنسية أن الاستمناء حالة مؤقتة ولكن إن لم يمنع حدوثها فإنها ستخضع لعوامل التثبيت وستتحول إلى شذوذ جنسي حقيقي شأن شكري.[3]

-البغاء (الدعارة):

وكأن الاستمناء و التبصص غير كافيان بالنسبة لمحمد شكري فإذا به يبحث عن الجنس في الدعارة.

---

[1] – الخبز الحافي، ص64.

[2] – نفسه، ص61.

[3] –حكمت سفيان: مسببات المثلية الجنسية، ص24.

والدعارة أو البغاء كمصطلح: هو استئجار أو تقديم أو ممارسة خدمات جنسية بمقابل مادي، فهي ببساطه بيع الخدمات الجنسية، وهي ظاهره قديمة.

ويرتبط مفهوم الدعارة بمفهوم توازن القوى ورمز القهر في المجتمع، وتمارسها النساء من أجل المال أو من أجل منفعة أو مصلحة.[1]

فالروائي يكاد يسكن في بيوت الدعارة وأول جماع لشكري مع امرأة كان في سن 17 من عمره حيث كتب:

«تعرفت على الجنس أول مرة مع اللاحرودة ، طلبت مني أن أدفع لها المال مقدما لم أتردد، هي تبيع جسدها ونحن نشتريه»[2]

وصف لنا ذلك المشهد بقوله:

«أخذت تتعرى واقفة، السيجارة في فمها، دخانها يجعل عيناها ناعستان، شفتاها شهوانيتان، حمرا وان، قالت لي: افتح فمك... كنت خائفا منها، فتحت فمي خائفا، وضعت سيجارتها في فمي باسمه...»[3]

نلاحظ أن شكري في بداية تلك العلاقة كان خائفا منها وكان يتساءل مع نفسه إن كان لفرجها أسنان؟ ولكنه عندما لمسها زال ذلك الخوف.

---

[1] – الدعارة، ويكيبيديا، https ;//ar.m.wikipedia.org.

[2] – الخبز الحافي، ص42.

[3] – نفسه، ص 43.

وهكذا أصبح الروائي يقصد بيوت الدعارة كلما أتيحت له الفرصة ،وينفق كل أمواله التي كان يجمعها مع النساء ويشرب الخمر، إذ كتب «تعودنا أن نتردد ثلاثة أو أربعة مرات في الأسبوع لنكتشف امرأة جديدة [1]»

فقد أصبح همه الوحيد هو تفريغ شهوته الجنسية فقط والنوم مع امرأة وهو لا يزال مراهقا حيث قال:«نحن مازلنا صغيرين؟ كل من ينتصب عضوه فهو رجل[2]»

هكذا أصبح شكري ينتقل من امرأة إلى أخرى:

«هذا المساء سنذهب عند الاسبانيات»[3].

وقال أيضا:

«سنجرب معها، بعد ذلك سنبحث عن أخريات أجمل منها فكرت الجمال عذاب»[4].

ما كان يهم شكري هو الحصول على جسد المرأة فقط لكي يطلق العنان لشهوته وهو ما زاده انحرافا حيث أصبح لا يفكر سوى في رغباته الجنسية إذ كتب:

---

[1]– الخبز الحافي، ص46.

[2]– نفسه، ص46.

[3] – نفسه، ص46.

[4] – نفسه، ص47.

«أتمنى أن أموت فوق جسد امرأة مثلها وقال أيضا: في الليل حملتني أرضع نهدا امرأة حليبها يفور في وجهه حتى كدت أختنق»[1]

فحتى بعد موت أخيه عاشور لم يكترث لأمره حيث قال:

«مات أخي عاشور ولم أحزن على موته... ملذات جسمي ألهتني... أختي أرحيمو أراها أيضا تكبر وتتكلم، لم أكن أهتم بها كنت غارقا في همومي وتشردي حالما بملذات العالم أنا في الدروب أكثر مما أنا في المنزل ».[2]

فعالم شكري يدور حول المرأة والجنس.

وأصبحت ممارسة الجنس بالنسبة له إدمان مثل تناوله للخمر والحشيش والمهلوسات وهذا ما يؤكده قوله:

«كنا ننفق كل ما نربحه في شرب الخمر والنوم مع نساء ما خور حي السانية».[3]

شكل كل ذلك بالنسبة لشكري عالما جميلا وجد فيه الحياة التي ضاعت منه ووصف لنا ذلك بالجنون حيث قال:

---

[1] – الخبز الحافي، ص49.

[2] – نفسه، ص49.

[3] – نفسه، ص49.

«الخمر والنساء والكيف جنون جميل في أي مكان في العالم سأبحث عن جنوني»[1].

فالنوم مع النساء وتناول الخمر هي التي أنسته همومه ومعاناته في الحياة وخصوصا مضاجعة النساء التي منحته المحبة والحنان التي حرم منها من طرف والديه وكأنه يعوضهما من خلال ممارسته للبغاء، لذلك كان يذهب كثيرا إلى بيوت الدعارة بحثا عن جنونه كما عبر سابقا، وهذا ما لاحظناه من خلال قوله:

«السنيما تناديني فيها أنسى همومي »[2]

ويضيف قائلا:

«رجال ونساء جالسون تحت شجرة البستان تعبق بروائح الزهور رائحة مسك الليل قوية قلت لنفسي هذه جنة»[3].

هذه الأجواء بالنسبة للكاتب هي التي تعطي له الشعور بالسعادة كأنه فعلا وجد ما كان يبحث عنه وذلك من خلال ممارسته لكل تلك الرذائل دون أن يدرك مدى خطورتها وأضرارها في المستقبل.

---

[1] – الخبز الحافي، ص68.

[2] – نفسه، ص89.

[3] – نفسه، ص85.

-الجنسية المثلية:

حاول شكري فرض نفسه وإيجاد معنى لوجوده من خلال إشباع نزواته حتى مع بني جنسه من خلال الجنسية المثلية.

والجنسية المثلية هي: تلك العلاقات التي تتخذ فيها الليبيدو موضوعا خارجيا من نفس الجنس فيتجه الذكر لمثله، والأنثى لمثلها، وتكون هذه الجنسية كامنة في مستوى اللاشعور، مثل هذه الممارسة تعتبر شكلا من أشكال الانحراف، ويرى فرويد أن الإنسان المريض نفسيا هو الذي يكون أكثر عرضة للانحرافات فالطابع التفعيلي الذي يمثل ميكانيزما أساسيا في الانحراف يتعلق بتكوين الفرد ونشوؤه الاجتماعي ومراحل نموه، لكن فرويد يولي أهميته كبيرة للخصائص السيكولوجية التي تهتم بالعالم المكبوت، والتي تؤكد قابلية الإنسان لاختيار موضوع الجنس من نفس الجنس.[1]

فمثليو الجنسية يمارسون فقط الجنس مع الأفراد الذين ينتمون إلى نفس الجنس.[2]

مارس شكري الجنسية المثلية وهو في سن المراهقة حيث كان يجهل ما يحدث حوله ونستشف ذلك من خلال قوله:

---

[1] – مجموعة من الباحثين: معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية للنشر، ط1، بيروت 2014، ص122.

[2] – سغموند فرويد: ترجمة جورج طرابيشي، ثلاث مباحث في نظرية الجنس، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بروت، 2007، ص8.

«توقفت سيارة حذاء الرصيف الذي أمشي عليه، عجوز يشير لي أن اقترب منه... اقتربت من السيارة فتح الباب وقال بالإسبانية: اركب... ركبت إلى جانبه، ماذا تريد مني إلى أين نحن ذاهبان؟... قال جولة قصيرة...»[1] محمد شكري بدأ يفهم ما يريد منه ولم يمنعه من ذلك الأمر حيث يقول:

«لامس فتحة سروالي بحركة لطيفة... يفك زر تلو زر بمهل، أضاء السقف، وانحنى إلي لأحسه ثم أدخل نصفه وشيء يزداد انتصابا لم أجرؤ على النظر إلى وجهه...»[2].

ولقد كان شكري مذهولا مما كان يحدث معه حيث يقول:

«إن النساء كثيرات لماذا هو الإنسان لوطي؟ هكذا فكرت...» [3].

ولقد اعتبر تلك الحادثة حرفة جديدة تضاف إلى ما كان يفعله مثل التسول والسرقة وكان يتساءل إن كان مثل كل ذلك العجوز يمصون.

وهكذا نلاحظ أن شكري وقع في كل الانحرافات التي كانت موجودة في المجتمع وأصبح ضحية لها وذلك بسبب جهله وتخلفه وعدم وجود راجع أخلاقي أو ديني يحول دون تلك الممارسات .

---

[1] – الخبز الحافي، ص105.

[2] – نفسه، ص105.

[3] – نفسه، ص 153.

5-البيدوفيليا والاغتصاب:

ونجده أيضا قد مارس البيدوفيليا والاغتصاب، أما البيدوفيليا: فهي تحرش جنسي بالأطفال أو الاعتداء الجنسي على الطفل بالانجليزية pedophilia هو استخدام الطفل لإشباع الرغبات الجنسية ،ويشمل التحرش تعريض الطفل لأي نشاط أو سلوك جنسي ويتضمن غالبا التحرش الجنسي بطفل من قبل ملامسته أو حمله على ملامسة المتحرش جنسيا.[1]

وهو في الواقع ضرب من الاغتصاب الذي هو ممارسة المعاشرة الجنسية رغما عن الشخص... ويعتبر من أكبر أنواع الممارسات التي تسمى بالعنف الجنسي والتي تبدأ من النظر واستعمال ألفاظ أو إيحاءات جنسية مرورا بالتحرش الجسدي والانتهاء بالاغتصاب وبذلك يصنف الاغتصاب بالجريمة أو الاعتداء الأكثر وحشية ،وهو اختراق جنسي مهما كانت طبيعته يتعرض له شخص من طرف شخص آخر، عن طريق العنف الإجبار والتهديد...[2]

وتختلف دوافع الاغتصاب الجنسي وفق الاحتياجات النفسية والعاطفية للمغتصب.

---

[1] – ويكيبيديا، بيدوفيليا، http://arm.wikipedia.org.

[2] – حسان الدين فياض: العنف ضدّ المرأة، مكتبة نور، https ;//www.noor.book.com، ص07.

وأيا كانت الأسباب يبقى الاغتصاب جريمة جنسية معقدة ومتعددة الأشكال، بمعنى أن فعل المغتصب وتصرفات المصاحبة له يمكن أن يكون إشباعها من أكثر باعث وبالتالي تم وصف أنواع المغتصبين طبقا لبواعثهم لارتكاب تلك الجريمة.[1]

و بالعودة إلى الرواية نلاحظ أن شكري مارس البيدوفيليا على طفل صغير وذلك بعد ما قام باغتصابه، حيث يقول:

«هم يقف، أمسكته من يده بعنف، جسمي يرتعش، الجنون في رأسي سحب يده بقوة ،أراد أن يهرب عانقت ساقيه والجنون تحتي، صار لي طفلي...»[2]

ويواصل قوله:

«جسدان في جسد، يخدشني أعضه في رقبته يكف عن الصراخ والاهتزاز ويستقر دفئي في دفئه...»[3]

وهكذا فعلها شكري واستطاع أن يفرغ شهوته مع ذلك الطفل فقد أفقدت النزوة الجنسية شكري صوابه، فأصبح هائجا إذ يقول:

«يرتعش الجنون في راسي الجنون تحتي».[4]

---

[1] –هشام عبد الحميد فرج: الجريمة الجنسية، ص67.

[2] –الخبز الحافي، ص66.

[3] – نفسه، 67.

[4] – نفسه، ص66.

لم يكن شكري إذن في وعيه كأنه في حالة لا شعورية والرغبة الجنسية هي التي سيطرت عليه تماما، وهذا ما ذهب إليه فرويد حيث ذكر أن الإنسان الذي يمارس الشذوذ الجنسي يكون إنسانا مريضا نفسيا وكل ذلك بسبب المكبوتات التي يحملها في عالمه الداخلي ويقوم بتفريغ تلك المكبوتات من خلال العنف الذي يمارسه اتجاه الغير.[1]

وقائمة الشذوذ الجنسي لدى شكري طويلة يمكننا في عجالة إضافة الزوفيليا وممارسته الجنس مع الجماد.

والزوفيليا هي: إضطراب جنسي يلجأ من خلاله الشخص إلى ممارسة الجنس مع الحيوان وهي بالإنجليزية bestiality Zoophilia ،والبهيمية تعد جريمة في دول العالم كما أنها محرمة في العديد من الأديان بسبب عدم التقبل الأخلاقي، أما أسبابها ودوافعها فمتنوعة من بينها الكبت الجنسي الحاد، المغامرة والخروج من المألوف، حين يميل بعض الأفراد إلى خوض تجارب جديدة عن نطاق المألوف فيقدمون على ممارسة هذا النوع من الشذوذ لاكتشاف المجهول في هذه العلاقة الغريبة...[2] وشكري أيضا قد مارس هذا النوع من الشذوذ وذلك من أجل أحمد رغبته الجنسية، كان ذلك مع إناث الحيوانات، الدجاجة والعنزة والكلبة

حيث نجده يقول:

---

[1] – مجموعة من الباحثين: معجم علم النفس والتحليل النفسي، ص122.

[2] –الزوفيليا، ويكي عربي، مقالات عامة، https ;//wikiarab.com

«رغبتي الجنسية تتهيج كل يوم الدجاجة، العنزة ، تلك كانت إناثي ...[1]»

ومن خلال هذا القول نستنتج أن شكري مارس الجنس مع الحيوانات بسبب سيطرة رغبته الجنسية عليه.

وكانت تلك الطريقة الوحيدة لكي يفرغ رغبته الجنسية، تمادى شكري في شذوذه ومارس الجنس على الجماد، وهو يصف ذلك في إحدى جولاته إلى الصيد حيث إنه بحث عن شجرة ملساء وجميلة فقام بتعذيبها من أجل أن يمارس الجنس عليها، وذلك ما لاحظناه خلال قوله:

«رسمت على جذعها تصميم امرأة خلال أسبوع حفرت على جذعها حفرتي النهدين والفم وحفرة ما بين الفخذين، الشجرة،_المرأة»[2].

ونلاحظ أن رغبته الجنسية قد سيطرت عليه كليا حتى بلغ به الجنون إلى ممارسة الجنس على الشجرة التي حولها إلى امرأة حيث قال:

«أضع في الحفرتين برتقاليتين مثقوبتين للمس أو تفاحتين للعظم وإحداهما في الفم سرت أنقل إلى الشجرة المرأة صورة الجميلات...»[3].

---

[1] – الخبز الحافي، ص33.

[2] – نفسه، ص55.

[3] – نفسه، ص56.

شذوذ شكري مقزز، فالإنسان الذي يمارس كل هذا الشذوذات لا بد من أن ينمو في داخله كل أنواع السلوك الإجرامي، ويظهر ذلك الإجرام فقط عندما يكون لديه ضغط عصبي أو توتر أو وجود إغرا ء وإغواء جنسي شديد.[1]

وهذا بالفعل ما حدث للروائي لأنه مارس جريمته الجنسية على الجماد بأبشع الطرق، إذ إنه حولها إلى امرأة وهذا الأمر في غاية الاشمئزاز والنفور ويدل على عمق الخلل النفسي عند شكري.

[1] –هشام عبد الحميد فرج: الجريمة الجنسية، ص71.

خاتمة

خاتمة

أفضت دراستنا إلى جملة من النتائج أهمها تختلف حيثيات الكتابة السيرة الذاتية من أديب لآخر، فقد يكتبها البعض لأنه يرى أن تجاربه الحياتية ذات قيمة نفسية أو اجتماعية أو تاريخية، فيختار مشاركتها مع الغير ويكتبها الآخرون مع تقدم السن رغبة في تخليد تاريخهم الشخصي، ويكتبها البعض الآخر حال شكري لإعادة قتل الماضي، للتطهير ولاستعادة الحياة المسلوبة وتقبل الذات بعد المعاناة.

ألم يقل شكري لأحد السائلين أنه لو لم يكتب الخبز الحافي لانتهي به المطاف إلى الانتحار؟

ألم يكتب في صدد آخر بأن الكتابة بالنسبة له احتجاجا على من سرقوا منه طفولته؟

ولكن العلامة الفارقة في الرواية أنها لا تسرد فقط حقيقة شكري بل تتخطاها إلى حقيقة السواد الأعظم من الشعب المغربي إبان فترة الاحتلال إنه توثيق لعالم الحرب وما ينجر عنه من بؤس وضنك و حرمان تسببت في واقع من العنف والتهميش.

صوّر لنا شكري في الخبز الحافي واقع العنف بكل صوره الفيزيولوجي والاجتماعي واللّفظي والنفسي، من خلال فضاءات اجتماعية مختلفة، الشارع، السوق محل العمل دور الدعارة أي كل تلك الأماكن التي سكنها أو تحرك الكاتب في فضاءاتها.

كتابة شكري عن العنف لا تعكس عوالم العنف فقط بل تتجاوزها إلى عنف الكتابة الذي يتجلى على مستوى السرد في كل أجزاء الرواية.

وبالعودة إلى الجنس فإننا نجد أن شكري قد استنفذ نفسيته وطاقته في سبيل إرضاء نزوته، مارس الجنس الغيري كما مارس الجنس المثلي، تحرّك شكري في عالم كله مجون وإباحية صارخة من مضاجعة البغايا، إلى بيع الجسد، إلى ممارسة الجنس مع الحيوان أو حتى مع الجماد إلى اغتصاب الصبيان ناهيك عن الفانتازما الجنسية التي تثيرها في مخيلته ظاهرة التبصص على العالم الخاص للمرأة.

وكأننا بالكاتب لا يحس بالحياة إلا من خلال تلك الممارسة الشهوانية الحيوانية المجردة من العواطف والأحاسيس.

ساعد فعل الجنس شكري على التحرر من المكبوت وفك قيود عالم الضياع والتشرد والموت، الذي كان يعيش في كنفه، لم يتعر شكري في الخبز الحافي نفسيا وجسديا فحسب

بل عرّى المجتمع العربي ونفاقه. فالبؤس الجنسي ظاهرة مستفحلة في العالم العربي والسكوت عنها لا ينفي وجودها.

قائمة المصادر والمراجع

❖ المصادر:

-محمد شكري: الخبز الحافي، سيرة ذاتية روائية دار السياقي، بيروت 2002، لبنان.

❖ المراجع باللّغة العربية:

1-إبراهيم عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دط، بيروت، لبنان، ب ت.

2-أحلام حمود الطيري: العنف الأسري مركز معلومات والتخطيط بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط1، الكويت، 2013.

3-باربار وتمر: الأنماط الثقافية للعنف، تحقيق ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب للنشر، ط1، الكويت، 2007.

4-سعد محمد رحيم: سحر السرد دراسات في الفنون السردية الرواية السيرة والسيرة الذاتية، أدب ما بعد الكولونيالية، أدب الاستشراق، دمشق، سوريا،2014.

5-شعبان عبد الحكيم محمد: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، رواية نقدية، دار العلم والحياة للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2009.

6-عبد الرحمن العيسوي: اضطرابات الطفولة وعلاجها، دار الكتب الجامعية، ط1، لبنان، 2008.

7-عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، دار نوبار للطباعة، دط، مصر، 1992.

8-علاء الدين كفافي: رعاية نمو الأطفال، دار قباء للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1998.

9-فايزر صلاح عثامنة: السرد في رواية السيرة الذاتية العربية، مؤسسة عمان للنشر والتوزيع، ط1، 2014.

10-فيليب لوجون: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تحقيق عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1914.

11- كحال بوعلي: السيرة الذاتية في رواية العربية الحديثة، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2002.

12-محمد القاضي: في حواريه الرواية، دراسة في الرواية التونسية، دار سحر للنشر، تونس، 2005.

13-محمد الهلالي وعزيز الأزرق: العنف، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2009.

14-محمد أين ميهوب: رواية السردية في الأدب العربي المعاصر، دار كنوز المعرفة، ط1، 1999.

15-محمد سليمان: مشكلة العنف والعدوان لدى الأطفال والشباب، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2008.

16-محمد صابر عبيد: الذات الساردة، سلطه التاريخ ولعبه المتخيل، دار بنيوي للدراسات والنشر والتوزيع، دط، سوريا، دمشق، 2013.

17-مصطفى عمر التير: العنف العائلي، أكادمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ط1، الرياض، 2008.

18-ميخائيل إبراهيم أسعد: مشكلات الطفولة والمراهقة، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1986.

19-نرمين حسن السلطاني: سيكولوجية العنف وآثاره على التنشئة الاجتماعية للأبناء، السعيد للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، دت.

❖ المراجع باللّغة الأجنبية:

Philipe Le Jeune: Le packe autobiographique ،Paris ،Ed: Suip, 1975.

❖ المعاجم والقواميس:

1-ابن منظور: لسان العرب، بيروت، لبنان، دار الأبحاث مادة سيرة، الجزء6، 2008.

2-ابن منظور: لسان العرب، مجلد4، باب العين، مادة (عنف)، دار المعارف، طبعة جديدة، دت.

3-فاير صياح: علم الاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، بيروت، 2005.

4-لطفي شريبي: معجم مصطلحات الطب النفسي، مركز تقريب، العلوم والصحة، دط، مصر، دت.

5-مجموعة من الباحثين: معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية للنشر، ط1، بيروت، 2014.

❖ المواقع الإلكترونية:

1-البصبصة، voyeurisme، اضطرابات الصحة النفسية، دليل MSD، https:// www. msdmanuals. com. Home .

2-حسان الدين فياض: العنف ضد المرأة، مكتبة نور، https: www. noor. book. com.

3-حسن سراج: المثلية الجنسية، الجنس الثالث الأيمو، مكتبة نور، https:// www. noor. book. Com .

4-حكمت سفيان: مسببات المثلية الجنسية، مكتبه نور، https:// www. noor. book. Com .

5-الدعارة، ويكيبيديا، https:// ar. m. wikipedia. org. .

6-الزوفيليا، ويكي عربي، مقالات عامة، https:// wikiarab. Com .

7-علي إسماعيل عبد الرحمن: العنف الأسري، الأسباب والعلاج، مكتبه نور، https:// www. noor. book. Com.

8-هشام عبد الحميد فرج: الجريمة الجنسية، مكتبة نور، https: www. noor. book. com.

9-ويكيبيديا، بيدوفيليا، https:// ar. m. wikipedia. org.

فهرست الموضوعات

مقدمة.

الفصل الأوّل: المحكي الذاتي بين الواقع والتخييل:

-الكتابة السير ذاتية.....02.

-السيرة الذاتية.....04.

-رواية السيرة الذاتية.....09.

-معالم السيرة الذاتية في رواية الخبز الحافي.....13.

الفصل الثاني: دواعي العنف وتجلياته في رواية الخبز الحافي:

-ماهية العنف.....23.

-الدّافع الأسري.....25.

-الدافع السياسي والاقتصادي.....34.

-الشارع.....38.

-الاستغلال.....40.

الفصل الثالث: الشذوذ الجنسي وأشكاله في رواية الخبز الحافي:

-التربية الجنسية.....45.

-التبصّص.....49.

-البغاء (الدّعارة).....55.

-الجنسية المثليّة.....59.

-البيدوفيليا والاغتصاب.....61.

-الزوفيليا.....64.

خاتمة.....66.

-قائمة المصادر والمراجع.

الملخص باللّغة العربية:

كتابة محمد شكري تشبه شفرة سكين حادة وامضة تعكس الأحاسيس بشكلها الخام.

يطرح الكاتب من خلال هذا السرد السير ذاتي تجارب حياته في ظلّ الفقر والحرمان، حياة مغمورة بالعنف والجنوح، لا ملاذ منها إلاّ في المخدّرات والمهلوسات والجنس.

الكلمات المفتاحية: السّرد السيرذاتي، العنف، الجنس.

الملخص باللّغة الأجنبية:

L'écriture de Mohamed Choukri est comme une lame tranchante ou les sentiments sont étalés à vif.

Dans cette narration initiatique autobiographique, le langage du ramancier marocain est cru, il n'a d'égal que les épreuves de sa vie dans une éxtrême pauvreté, imbibée de violence, de délinquance, de drogues consolatrices et de prostitution compensatrice.

Les mots clée : narration initiatique autobiographique, violence, prostitution.